1re. Année, No. 20
Mercredi, 1-11-1933

بدل الاشتراك
صـ
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة فى الخارج
١ ثمن العدد الواحد
....
تصدر مؤقتاً
فى أول كل شهر ونصفه

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات
....
الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون ٤٢٩٩٢

العدد العشرون «القاهرة فى يوم الأربعاء ١٢ رجب سنة ١٣٥٢ — أول نوفمبر سنة ١٩٣٣» السنة الأولى

فهرس العدد

صفحة

عدلى . . .

يجب أن يكون الناس قد انتهوا من الحرج والضيق ، ومن العسر وسوء الحال الى حيث أصبحوا ينكرون أنفسهم ويمرون سراعاً ببعض الاحداث الجسام التى كانوا يقفون عندها فيطيلون الوقوف ، ويفكرون فيها فيطيلون التفكير . ويتذوقون آلامها متمهلين متعمقين كأنهم يجدون فى تذوقها على مهل وفى أناة شيئا من اللذة يدعوهم الى استبقائها ومد أسبابها . فهم كانوا اذا ألم بهم الحدث من هذه الاحداث وجموا له وجوماً طويلا ثقيلا ، ثم يذهب عنهم الوجوم شيئا فشيئا فيحسون لذع هذه اليقظة المؤلمة ، ثم يفيقون فيقدرون خطر الحدث الذى أصابهم ، ويذكرون من أصابهم فيه ويطيلون ذكره ، ويتمثلون مواقفه المختلفة ، ثم ينظرون الى حاضرهم ومستقبلهم ويتصورون فقيدهم مواجها لظروف الحاضر والمستقبل ، ويسألون أنفسهم عن مواقفه التى كان يمكن أن يقفها من هذه الظروف لو امتدت له أسباب الحياة ، ويتخذون من هذا التفكير المتنوع الطويل سبلا الى الألم متنوعة ، ووسائل الى الحزن متباينة ، تأبى نفوسهم أن تقطع الصلة بينها وبين من فقدت ، حتى اذا عملت الايام عملها ، وتكاثرت خطوب الحياة على ما يملأ النفوس من ذكرى ، فحاولت أن تسدل عليه من النسيان ستارا ، جاهدت هذه النفوس ما وسعها الجهاد ، لتقاوم الظروف ، وتمانع النسيان وتستبقى شخص الفقيد ماثلا أمامها تنظر اليه وتحزن عليه وتبكيه أو تبكى انفسها فيه

كذلك كان الناس حين كانت حياتهم حياة تستحق هذا الاسم ،

وحين كانت أيامهم أياما ، أما الآن فقد تغير الناس لأن حياتهم تغيرت ، وقد تبدل الناس لأن أيامهم تبدلت ، فقدت الحياة فى نفوسهم قيمتها ، فاصبحوا لا يذوقون لذتها وآلامها الا مسرعين . وفقدت الايام فى نفوسهم قيمتها ، فاصبحوا لا يقفون عند احداثها وخطوبها الا لماما . كثرت عليهم الاحداث والخطوب ، وثقلت عليهم الارزاء والمحن ، وعجزت أعصابهم عن المقاومة ، فعجزت نفوسهم عن الحزن كما عجزت نفوسهم عن الفرح . أصبح كل واحد منهم وكأنه الكرة الخفيفة الوثابة تتدافعها الحوادث ، وتتقاذفها الكوارث ، فلا تكاد تقع على حادثة أو كارثة ، أو لا تكاد تقع عليها حادثة أو كارثة ، حتى تثب وتقفز مسرعة ، خفيفة ، عنيفة ، تبتغى حادثة أخرى وكارثة أخرى ، أو تبتغيها حادثة أخرى وكارثة أخرى

وهذا وحده هو الذى يفسر موقف الناس من هذا الخطب العظيم الذى ألم بهم حين نعت اليهم الانباء عدلى يكن رحمه الله ، فقد وقعت هذه الأنباء عليهم وقع الصواعق ، فوجموا لها ، ولكنهم أفاقوا مسرعين من هذا الوجوم ، لأنهم تعودوا وقع الصواعق فى هذه الايام . أفاقوا وجزعوا ، واشتد عليهم الجزع ، حتى كاد يشبه اليأس ، ولكن جزعهم كان قصيرا محدود الامد ، فلم يمض يوم وبعض يوم حتى شغلوا عن هذا الخطب ولم ينسوه ، وانما صرفوا عنه صرفا ، صرفتهم عنه هذه الضرورات القاسية والآلام الملحة التى لا يعرفون كيف يخلصون منها أو يثبتون لها . وما رأيك فى قوم لا يستقبلون النهار اذا أشرقت شمسه الا بالخوف من بياضه ، ولا يستقبلون الليل اذا نشر ظلمته على الأرض الا بالاشفاق من سواده ، يصبحون وهم يجهلون الى أين يدفعهم النهار المضىء ، ويمسون وهم يجهلون الى أين يذهب بهم الليل المظلم .

كيف تريد من هؤلاء الناس أن يبتلوا مرارة الحزن ولذع الألم ، أو يستعذبوا حلاوة الفرح وموقع السرور من نفوسهم ؟ لقد فقدوا أو كادوا يفقدون هذه الملكات القوية الرقيقة الحساسة التى كانت تنقل الى نفوسهم صور الحياة كما هى . فهى تمكنهم من أن يتعظوا بما يبعث العظة منها ، ويبتهجوا بما يثير الابتهاج ، هاهم اولاء يفكرون فى أزماتهم على اختلافها ، ويجدون فى التخلص من هذه الأزمات أو الاذعان لها ، ليس منهم إلا طالب أو مطلوب ، ليس منهم الا غالب أو مغلوب ، ليس منهم الا بائس أو منتظر للبؤس ، وليس منهم الا محرج أو مدفوع الى الحرج ، فهم معذورون إذا صرفتهم الحوادث صرفا عن ذكر هذا الفقيد العظيم ، وعن إطالة ذكره والتحدث فيه ، وهو مع ذلك مازال فى دار الغربة حيث قبضه الله اليه ، لم يعبر جثمانه البحر بعد الى وطنه ليوارى فى ترابه ، ويدفن فى ثراه المقدس .

هم معذورون . وعدلى رحمه الله أشد الناس قبولا لعذرهم هذا ، لانه كان أحسن الناس تقديراً لحالهم هذه . ولأنه كان أشد الناس عطفا عليهم وبرأبهم ، ولأنه كان على امتيازه وأرستقراطيته الظاهرة يشاركهم فيما يجدون ، ويقاسمهم ما يشعرون به من الحزن والألم وسوء الحال . والمصريون أكرم على أنفسهم من أن يكون سكوتهم عن عدلى بعد موته بقليل نسيانا له ، أو تقصيراً فى ذاته ، فليس عدلى من الأشخاص الذين يقدر عليهم النسيان ، وليس المصريون من الشعوب التى يهون عليها الجميل . ومهما يكن الأمر فى ذلك فان ذاكرة التاريخ أقوى وأثبت وأعمق من ذاكرة الناس ؛ وسيذكر التاريخ دائماً أن أربعة من المصريين كانوا أئمة النهضة الوطنية الاستقلالية ، أو قل كانوا أئمة الثورة المصرية التى شبت نارها بعد أن خمدت جذوة الحرب ، والتى هبت فيها الأمة المصرية تطالب بأن يعرف الناس لها أنها أمة حرة كريمة تريد أن تعيش فى بلد حر كريم . كان هؤلاء الأئمة الأربعة عنوان الحياة السياسية الجديدة فى مصر ثم فى الشرق كله ، وسيظلون عنوانا لهذه الحياة على اختلاف طبائعهم وأمزجتهم ، وعلى تباين ميولهم وأهوائهم ، وعلى ما بين شخصياتهم العظيمة الفذة من الاختلاف ، ولن يستطيع مؤرخ أن يصور حرية مصر وحرية الشرق فى هذه القطعة من الزمن التى تبتدىء بعد الحرب دون أن يعتمد فى تصويره على هؤلاء الائمة الاربعة فى السياسة : سعد ورشدى وثروت وعدلى رحمهم الله !

كان سعد من هذه الثورة المصرية الشرقية بمكان الجذوة القوية المضطرمة التى لا يعرف الخمود اليها سبيلا ، والتى لا يمسها شىء إلا اضطرم ، ولا يدنو منها شىء إلا التهب . والتى تبعث أشعتها القوية المحرقة الى أبعد الاماكن منها فتذكى فيها ناراً ، وتثير فى جوها أواراً ، وتخرج أهلها عن أطوارهم ، وتدفعهم الى حب الحياة بعد الموت ، والعزة بعد الذل ، والاستقلال بعد الخضوع والاذعان .

وكان رشدى من هذه الثورة بمكان الفقيه الذى يعرف كيف يستخرج الحق من الشبه ، ويرد اليه حظه من الوضوح الذى لا يدع للشك فيه سبيلا ، ثم يدافع عنه بالحجة الساطعة والبرهان المستقيم والعاطفة الصادقة الحارة .

وكان ثروت من هذه الثورة بمكان المدبر الماهر ذى الحيلة الواسعة والمدخل الخفى والمخرج اللطيف كلما تحرجت المواقف وتعقدت الامور .

وكان عدلى من هذه الثورة بمكان العقل الهادىء الرزين الحكيم ، الذى لا يقوم الا على بصيرة ، ولا يقبل الا على ثقة ، وبعد تفكير طويل ، وروية متصلة . ولا يأتى من الامر شيئا الا فى أناة ووقار

وهدوء ، قلما تظفر بمثلها عند الزعماء . ولو أن الثورة المصرية الشرقية فقدت واحدا من هؤلاء الاربعة لما كان لها شكلها الذى نعرفها به ، ولا طبعت بهذا الطابع الذى يميزها من غيرها من الثورات .

كانت أمزجة هؤلاء الأئمة الأربعة عناصر تكونت منها هذه الثورة المصرية الشرقية . وقد اختلفوا واختصموا ، وجاهد بعضهم بعضا جهادا عنيفا . ولكن مزاج الثورة المصرية كان فى حاجة قوية الى هذا الخصام والجهاد ليحيا ويقوى ويثبت للاحداث ، ويبقى على رغم الخطوب . ثم أذن الله لهؤلاء المختلفين أن يعودوا الى ما كانوا عليه من ائتلاف ، ويثوبوا الى ما كان بينهم من مودة وحب ، ومن تعاون واتفاق ، فصفا بعضهم لبعض ، وسعى بعضهم الى بعض ، ورضى بعضهم عن بعض ، ورضيت الامة عنهم جميعا ، ورضى الله عنهم فآثرهم برحمته واختارهم الى جواره ، يسعى بعضهم فى إثر بعض الى دار الخلود وقد أدى واجبه ، ونهض بما كان ينبغى أن ينهض به من الحق . وكان سعد أسبقهم الى الخلود ، وكان عدلى آخرهم انتقالا الى دار الخلود . ولقد تحدث الناس عن سعد ورشدى وثروت فأطالوا الحديث ، وسيتحدثون ، وستكون أحاديثهم أجل وأوضح ، وأدل على عظمة هؤلاء النفر كلما بعد بيننا وبينهم العهد ، ومضت على وفاتهم الايام . ولكن الناس لم يتحدثوا بعد عن عدلى لأنه عاش الى هذا العهد ، فكانت حياته مانعة من الحديث فيه ، ولأنه مات فى هذا العهد فكانت المحن المقيمة صارفة عن اطالة الحديث فيه .

وليس الحديث عن عدلى سهلا ولا يسيرا ، فأنت لا تكاد تعرض لخصاله حتى تعجبك كلها ، وحتى تدعوك كلها الى أن تحمده وتثنى عليه . واذا أنت حائر لا تدرى ماذا تأخذ منها وماذا تدع ، ولكن نواحى ثلاثا من حياة هذا الرجل تفرض نفسها على الكتاب والمفكرين فرضا . فاما أولاها فهى امتيازه الشخصى فى حياته الخلقية ، وفى ما كان بينه وبين الناس من صلة . فعدلى أقل الناس تعرضا للنقد من هذه الناحية : كان رضى الخلق ، وكانت هذه الخصلة اظهر خصاله وأوضحها ، ولكنها على ذلك لم تكن تسبق الى الناس ولا تظهر نفسها لهم ، ولا تطمعهم فى صاحبها ، وانما كانت تحيط نفسها بسياج من الانفة والترفع ، يحسبه الناس ضربا من الغطرسة ، ولونا من الكبرياء ، فيهابونه وينأون عنه ، فاذا اتيح لهم أن يدنوا من الرجل ويخلصوا الى نفسه ، لم يجدوا غطرسة ولا كبرياء ، وانما وجدوا أنفة وعزة وترفعا عن الابتذال . ووجدوا من وراء هذا كله نفسا صافية نقية ، وقلبا طاهرا وفيا ، وضميرا كريما حيا . وظهر لهم هذا كله فى معاشرة حلوة ، وحديث عذب ولسان عفيف ، وصلات ترفع الذين يدنون من عدلى الى حيث هو ، ولا تهبط بعدلى الى حيث يكون المتصلون به والساعون اليه .

والناحية الثانية مذهبه السياسى . فقد كان عدلى كغيره من أصحابه مؤمنا بحق مصر فى الاستقلال ، حريصا على أن تظفر مصر بهذا الحق ، لم يكن يتهم فى ذلك من أحد . وكان عدلى كأصحابه يرى أن المفاوضة مع الانجليز قد تؤدى الى الظفر بهذا الحق ، وتنتهى بمصر الى ما تريد . ولكن طريقه فى تنفيذ مذهبه هذا واخراجه الى الحياة العملية هى التى تميزه من غيره ، وهى التى تظهر طبيعته ومزاجه ، كاوضح ما تكون الطبيعة والمزاج . فلم يكن عدلى صاحب قوة وعنف ، ولم يكن عدلى قادرا على أن يوجد بينه وبين الشعب على اختلاف طبقاته هذه الصلة القوية التى تجعله مرآة للشعب من جهة ، وملهما للشعب من جهة أخرى . انما كان عدلى رجلا يحب الشعب ويؤمن به ، ويحرص على حقه دون أن يلهمه أو يستلهمه . كان يصدر عن عقله وتفكيره الهادىء الرزين ، اكثر مما

يصدر عن عواطفه الحارة وشعوره العنيف . وكان لا يحسن الحديث الى الشعب ، لأنه لم يكن يجد هذه الكلمات والجمل الساحرة التى تنفذ الى قلوب الشعب . وكان كل ما يستطيع أن يرى ويسمع ويفكر ، ثم يعمل تاركا لغيره مالا يقدر عليه من الهام الشعب واستلهامه . فلما ألف وزارته الاولى وأعلن برنامج هذه الوزارة متفقا عليه مع الوفد ، كان هذا البرنامج مظهرا واضحا قويا ، لطبيعة هذا الرجل المستقيمة ومذهبه الصحيح فى فهم حقوق الشعب وتقديرها . فانظر اليه يحرص فى هذا البرنامج حرصا شديدا على أمرين : الاول أن يستخلص لمصر حقوقها من الانجليز بالمفاوضة . الثانى ان يعرض على الشعب المصرى نتيجة المفاوضة لينظر فيها ويقرها ، وأن يكون هذا الشعب ممثلا فى جمعية وطنية لا تقف مهمتها عند إقرار المعاهدة وتنظيم العلاقة بين مصر وبين الانجليز ، بل تتجاوز هذا الى شىء عظيم الخطر حقا وهو وضع الدستور ، وتنظيم سلطة الشعب ، وتنظيم العلاقة بين السلطة التشريعية وغيرها من السلطات التى يتكون منها سلطان الدولة ؛ ومعنى ذلك أن عدلى كان يؤمن بأن الأمة وحدها مصدر السلطات ، وبأنها ما دامت كذلك فهى التى يجب ان تضع الدستور وان تعلنه لا ان تتلقاه . ومن يدرى ؟ لو أن الظروف واتت عدلى ومكنته من تنفيذ برنامجه لعل مصر ان تكون قادرة على ان تجتنب كثيرا من الازمات الداخلية التى المت بها فجرت عليها شرا كثيرا .

ولست أدرى لعل موضع الخطأ فى برنامج عدلى رحمه الله أنه جعل دعوة الجمعية الوطنية نتيجة للمفاوضات لا مقدمة لها . فلما لم تنجح مفاوضته لم تدع الجمعية الوطنية ، وتلقت مصر الدستور ولم تصدره . ولكن أكان عدلى قادرا حقا على أن يدعو الجمعية الوطنية قبل المفاوضة ، وقبل أن يستخلص لمصر حريتها من الانجليز؟ وماذا عسى أن تكون قيمة هذه الجمعية الوطنية التى تدعى وتعقد وتشرع الدستور وغير الدستور فى ظل الحماية الأجنبية ؟ وماذا يكون موقف هذه الجمعية الوطنية من الانجليز ؟ وماذا يكون موقف الانجليز منها ان شجر بينها وبينهم خلاف : مهما يكن من شىء ، فقد كان فهم عـــدلى لحقوق الشعب وتصويره لهذه الحقوق ملائمين أشد الملاءمة لأرقى المثل الدستورية العليا .

الناحية الثالثة : وفاء هذا الرجل العظيم لمذهبه فى السياسة ، ورأيه فى حق الشعب ، وثباته على هذا المذهب ، وامتناعه أن يتحول عنه مع الظروف ، فقد أخفق فى مفاوضة الانجليز واستقال وعجز عن أن يدعو الجمعية الوطنية ، ولكنه قضى بقية حياته مؤمنا بأن المفاوضة هى أوضح السبل الى الاستقلال ، مؤمنا بأن سلطة الشعب هى القوام الشرعى الوحيد لكل حكومة ، وهى العماد الشرعى الوحيد الذى يجب أن تعتمد عليه الحكومات فيما تأتى من الأمر فى السياسة الداخلية أو الخارجية ؛ ولم يكد يصدر الدستور حتى عرف عدلى كيف يرضى نفسه وضميره فى السياسة ، فتقدم الى أمته فى الانتخابات ؛ فلما قضت عليه اذعن لقضائها ورضى به ، لا يحمل لأمته غلا ، ولا يضمر لها حقدا ، ولا ينكر عليها أنها انصرفت عنه الى غيره ، ولم تمنحه ثقتها . وهو على ذلك كله مؤمن أصدق الايمان بأن هذا الدستور الذى صدر لا يفيد الذين أقسموا على الاخلاص له وحدهم ، وانما يقيد المصريين جميعا وهو من بينهم . ومن هنا تستطيع أن تفهم أن عدلى قد أبى كل الاباء بعد صدور الدستور أن يؤلف وزارة ، أو يؤيد وزارة ، أو يشترك فى وزارة لا تعتمد فى صراحة واخلاص على الدستور ؛ ومن هنا نستطيع أن نفهم اسراعه الى الائتلاف مع سعد حين دعى اليه ، واخلاصه فى تأييد هذا الائتلاف ، وقبوله رياسة الوزارة فى هذا الائتلاف ، لأن هذا الائتلاف كان قوامه ارجاع الحياة الدستورية ، وكان اعتماده على الدستور ، وكان بقاؤه رهينا ببقاء الدستور ؛ ومن هنا تستطيع أن تفهم كيف اعتزل السياسة وانصرف عنها حين وقف الدستور ، وكيف أسرع الى قبول الوزارة حين عرضت عليه ليرد الدستور . ثم من هنا تفهم أيضا كيف أنكر ما كان من تغيير الدستور القديم ، وكيف أسرع الى الاحتجاج على هذا التغيير ، وكيف أسرع الى التعاون مع المؤتمر الوطنى الذى أنكر ما حدث من تغيير ، وألح فى أن ترد الأمور الى نصابها ، وكيف أنفق بقية حياته عزيزا كريما أبيا يرقب الحوادث وينتهز الفرص وينتظر أن يدعوه الواجب الوطنى فيستجيب له . ولكن دعوة الموت سبقت دعوة الواجب الوطنى ، فأسرع عدلى الى حيث أراد الله له من هذه الحياة الخالدة . حياة الكرامة والنعيم . وتريد الأقدار أن يموت عدلى حيث مات صديقه الحميم ثروت فى باريس بعيدا عن الوطن ، وتريد الاقدار أن يموت عدلى كما مات صديقه الحميم ثروت ومصر فى أزمة سياسية عنيفة تعتمد عليه وتعقد به أوسع الآمال . فاذا هى تمتحن فيه وتحرم معونته ، ثم تريد الأقدار أن ينتقل عدلى الى وطنه فى نفس السفينة التى نقل فيها ثروت ، وهى (البروفيدنس) ! أفترى الاقدار قد رعت حرمة هذه المودة الصادقة الخالصة التى كانت بين هذين الرجلين العظيمين ، فأرادت أن تلائم بينهما فى الموت كما لاءمت بينهما فى الحياة ؟

طه حسين

النقد والتقريظ

للاستاذ أحمد أمين

أصل كلمة النقد من نَقْدِ الدراهم وهو امتحانها ومعرفة الجيد والردىء منها ، فهى بهذا المعنى لا تقتصر على ذكر العيوب والتشهير بها ، بل تدل على استعراض الشىء والوقوف على محاسنه ومساويه

وقد تستعمل فى معنى الذم والعيب خاصة ، ومنه حديث ابى الدرداء : « ان نقدت الناس نقدوك ، وان تركتهم تركوك » فاستعمل الكلمة بمعنى العيب والذم

وهى بهذا المعنى ضد التقريظ ، فالتقريظ مدح الشىء والثناء عليه ، مأخوذ من قَرَظ الجلد دبغه بالقَرَظ ، وقرّظه بالغ فى دباغه. وسموا المدح تقريظا « لأن المقرّظ يحسّن ويزين صاحبه كما يحسن القارظ الاديم » وبهذا المعنى يستعملها الكتاب المحدَثون فيعنون بالنقد ذكر المساوى وبالتقريظ ذكر المحاسن

ولست أعرض فى مقالى هذا للكلمتين من الناحية الأدبية ، فلا أعرض لمذاهب النقد الأدبى ومقاييسه ، كما لا أعرض لأساليب التقريظ وألوانها ، وانما أعرض لظاهرة نفسية تلفت النظر : هى أن الناس على اختلاف درجاتهم فى البداوة والحضارة ، والرقى والانحطاط ، مولعون بالنقد أكثر من ولوعهم بالتقريظ ، ومولعون بالبحث عن العيوب واظهارها والمبالغة فى تصويرها أكثر من ولوعهم بالبحث عن المحاسن واظهارها وتصويرها ، وهم فى ذلك بين اثنين : اما ممثل على المسرح يمثل دور الباحث عن العيوب المتجسس على السقطات ، يستبشر كلما عثر على خفايا الزلات ، ويقيس نجاحه بمقدار ما كشف من أخطاء ، واما مشاهد لهذا المنظر ، أكثر ما يهتم له العيب الفاضح والسقطة الشنيعة ، يطيل التصفيق لكاشف الزلل ويمنح الأعجاب من أصاب من آخر مقتلا

ومظاهر ذلك فى الحياة كثيرة ، فلا تكاد تجد عظيما بأجماع ، ولكنك كثيرا ما تجد أصاغر بأجماع ، لأن النفوس ترتاح لمنظر الحقير إذ خرج من ميدان المنافسة ، ونزل عن مستوى المقارنة ، ويضنيها العظيم فتتلمس وجوه النقص فيه ، وتخلقها إن لم تكن ، وتبالغ فيها ان كانت ، لأن العظيم يكلفها العناء فى ادراك شأوه وبلوغ منزلته

ومن مظاهر ذلك أن مجلات عديدة فى العالم كله تعيش على النقد ، وليس - فيما أعلم - مجلات تعيش على التقريظ ، وقد أدركت هذه المجلات إدراكا صحيحاً هذه الظاهرة النفسية ، ورأت أن رواجها يكون أتم كلما ارتفعت نغمة هجوها ، وكلما كان نقدها أقذع ، وسهامها أنفذ ، والجرائد فى العالم تبذل المدح بالحبة ، والنقد بالقنطار ، ومن آية ذلك أن الناس فى كل أمة يقدرون - غالباً - جرائد المعارضة أكثر من قَدْرِهم جرائد التأييد ، فاذا تغيرت الحكومات وأصبحت جرائد المعارضة بالأمس جرائد تأييد اليوم ، نزلت قيمتها من ناحية أنها لم تعد تروى رغبات الناس وشهواتهم

ثم ، ما النقد الأدبى ؟ أليس هو فى الغالب ارضاء لعاطفة البحث عن الغلط والتشهير به ؟ إذا مدح النقاد فبحذر وقدَر ، وأكثر مدحهم « طعم » يستدرجون به القراء لاقناعهم بأنهم عدول فى تقديرهم ، منزهون فى ذمهم ومدحهم ، حتى اذا اطمأن لهم القارىء بالغوا فى النقد وأسرفوا فى اللوم ، وأكثر الناشئين من الأدباء يتطلبون الشهرة من طريق مهاجمة النابغين والتعرض لهم ، والتسميع بهم ، حتى إذا تصدوا للرد عليهم رفعوا من شأنهم إذ جعلوهم فى منزلتهم ، وقديماً حكى لنا « بشار بن برد ، » أنه - وهو ناشىء - هجا جريراً فأعرض عنه واستصغره ، ولو أجابه لكان كما يقول أشعر الناس . قد يكره الناس الناقد الجرىء ، ولكنهم يهابونه ويلتفتون اليه ويشجعونه على أن يبنى نفسه من أنقاض ما هدم من غيره

ومن أكبر مظاهر هذه الظاهرة ارتياح الناس للهازئين الساخرين ، وما يصدر منهم من هزؤ وسخرية ، على شرط ألا يكونوا هم موضع الهزؤ والسخرية ، فأوسع أبواب الظرف والكياسة ، وأشد ما يستخرج الضحك والأمعان فيه ما لذع به الناس فى أعراضهم وأخلاقهم وملكاتهم ، والذى يعدّه الناس لطيف الروح خفيف الظل ، بارع الظرف ، هو من يومىء الايماءة الفاتكة ويرشح لسانه باللفظ يقتل به البرىء الغافل ، ويضحك به اللاهى الماجن

وقد تقام حفلات التكريم للاشادة بصفات عظيم ، أو التنويه بماقام به من عمل جليل ، ولكن أكثرها حفلات تأبين ، تقام بعد أن اختفى المحتفل به عن المسرح وغاب عن الأنظار ، أو بعد أن أعجزته السن وخرج من ميدان العمل والمنافسة ، أو هي حفلات تجارية أقيمت لمنفعة المحتفلين لا المحتفل بهم

الحق أن هذه العاطفة - عاطفة البحث عن الخطأ واذاعته والولوع بالنقد أكثر من الولوع بالتقريظ - عاطفة تشارك الانسان في جميع أدواره

وتعليلها - على مايظهر - يرجع الى غريزة الأثرة وحب النفس ، كأن الانسان يرى أن القول بعيوب الناس يتضمن القول بتفوقه ، والتشهير بأغلاطهم اقرار سلبي بنبوغه ، والعمل على تحقيرهم قد ينتج مع الزمن انفراده بالعظمة ، والسخرية منهم تستتبع الاعتراف بجلاله وحده

ولكن المدنية والحضارة ، والرقي العقلي والخلقي ، تهذب من هذه العاطفة ، كما تهذب من سائر العواطف ، فالناقد المهذب يكتفي بالتلميح دون التصريح ، وبالاشارة دون التجريح ، يقول مافي نفسه ولكن يتخير الألفاظ ويتخير المواقف ، ويترفع عن الفاظ الغوغاء وأساليبهم ، والمقارنة بين الجرائد والمجلات ، وأساليب النقد في الأمم المختلفة تؤيد هذا كل التأييد

لو سار الأمر على المعقول لخف كثير مما يصدر من لوم ونقد ، لأن أساس اللوم امكان المسئولية ، فاذا لم تكن فلا لوم ، فلسنا نلوم المرضى إن لم يأتوا باعمال الأصحاء ، ولا نلوم البدوي كما نلوم الحضري ، ولا نلوم الجاهل بمانلوم به العالم ، ولا نلوم الطفل في المدارس الابتدائية إذا لم يحل معادلة جبرية أو نظرية هندسية

انما نلوم الانسان عند ما يكون في الامكان أن يفعل خيرا مما كان ، ولو قدر اللائمون تقديرا حقا ما يحيط بالملوم من حالة عقلية وجسمية وبيئة اجتماعية ومن عوامل خفية معقدة يصدر عنها العمل لخففوا من غلوائهم ، ولطفوا من لومهم ، ولعلموا أن استحقاق اللوم نسبي يرتبط بالسن وبدرجة الثقافة والمدنية وحالة الفرد في أمته وموقف أمته في العالم

ولو سار الناقد على المعقول ، لوقف موقف المصلح لا موقف الجاسوس ، إن الجاسوس يهمه أن يرى الخطأ ليبرهن على كفايته ، ويسره أن يرى العيب ليقبض على فاعله ، وكلما أوغل في استكشاف العيب الدفين ، وتعمق في اظهار جريمة مستورة ، كان أدل على قدرته ونبوغه ، ويأسف ان لم يكن عيب . كأنه يشعر شعورا باطنيا أنه ارهاص بأن لا حاجة اليه — والمصلح يستكشف العيب لا ليشهر به ، ولكن ليعالجه ، وأقصى أمانيه ألا يكون عيب ، واذا كان فأن يداوى ، ويعتقد أن مهمته تتم - مع السرور - يوم يزول المرض ويتلاشى النقص ، وأنه بنقده ولومه إنما يصف دواء يستأصل الداء ، ويأتي عليه

أسوأ مانرى أن يكون الناقد كالفرس الجموح ينال من الناس بهوجه وخبطه ، أو أن يقف في نقده موقف الغر يداعب بالنار ، أو الطفل يلعب بالسكين .

المعـــالي . . .

للدكتور محمد عوض محمد

الآن وقد بلغت ربوع الألب أيها الصديق ! ، فما أجدرك أن تلقى عصاك حينا . ثم تنعم النظر فيما حولك من خلق عجيب ، ومن روعة آخذة بالألباب . . . في هذا الجزء الصغير الجليل من العالم أرادت الأرض أن تسمو وتعلو . . أتراها كانت تريد أن تبلغ السموات ، ثم لم تلبث أن رأت هذا السمو قد أبلغها الزمهرير المهلك القارس ، فجمد في صدرها الأمل والطموح ، واكتفت من الارتقاء بشيء لعلها تراه قليلا ، ونراه نحن جليلا ؟ . وأيا كان ذلك السر الغامض الذي جاش به صدر الأرض ، وأياً كان مطمحها البعيد أو القريب ، فحسبي الآن وحسبك ما تتأمله فيها من حسن وما ننعم به من جمال .

في هذه البقعة المباركة رفعت الأرض مناكبها ، وأمعنت في الارتفاع ، وصعدت أعلامها في الهواء وأسرفت في الصعود . واصطدمت السحب بهذه الأطواد الشامخة فسالت السحب غيثا مدراراً ، وانحدر الغيث على جوانبها جداول وأنهارا . ثم اجتمع الماء من كل ناحية في هذه البطائح المطمئنة ، ولم يزل يجتمع حتى استحال الى هذه البحيرات البديعة ، وقد نزلت اليوم على ضفاف واحدة منها . فراعك حسنها الهائل ، وفتنتك عيونها الساحرة ، واستهواك قوامها الرشيق ، وخدها الأسيل . . . ولقد بهرك منها

بنوع خاص هذا الجمال المتجدد فى كل لحظة ، إذ تبدو لك الصبح فى لون ، والأصيل فى لون ، وتبدل فى كل آونة ثوبا . . . أرأيت يا صديقى ، كيف حرت فى أمرك وأمرها ، فما تدرى أى ألوانها أحب الى قلبك ، وأى أشكالها أشد امتلاكا لعقلك ؟

أمنظرها وقت الشروق ، وهى هادئة وادعة ، وقد انطبعت فى صفحتها البلورية الملساء صورة مبهمة قاتمة للجبال الشاهقة التى تحيط بها ، وقد حالت الجبال دون وصول أشعة الشمس . فلم ينفذ الى البحيرة من نورها سوى ضياء هادىء رقيق ، يبدى لك من الكون ماحسن ، ويخفى منه ماليس بالحسن . ولولا أنى أخشاك ياصديقى لقلت لك إن البحيرة فى تلك اللحظة تشبه الحسناء حين تستيقظ من النعاس ، ولكنى أحسبك لا تعبأ بمثل هذا التشبيه . . .

أم منظرها وقت الظهيرة ، حين تظلها سماء صافية زرقاء ، وتبدو الجبال من حولها ، وقد زهت بثوبها السندسى الأخضر . . فبدت لك البحيرة فى رداء عجيب : فى مزيج من فيروز السماء ومن زمرد المروج الخضراء ؟

أم منظرها وقد مالت الشمس للمغيب ، وقد اشتمل الكون برداء مصفر حزين ، وامتدت الظلال وأمعنت فى الامتداد ؛ وآوت الطير الى وكورها وخففت من غلوائها . ولاحت لك البحيرة وقد تمثل فيها كل هذا الهدوء الحزين ، وعلى محياها ذلك الشحوب الفاتن . فى هذه الساعة القصيرة تتبدل لك الألوان والشكول بسرعة هائلة ، فلا تكاد العين أن تقع على منظر حتى يحول ويتغير .

قل لى أيها الصديق ! أما استهواك منظر هذه الأطوار التى أحدقت بالبحيرة من كل جانب ، وقد اختفى تحت الماء منها شطر وحلق فى السماء شطر . فأما شطرها البادى للعيون فقد اكتسى بغطاء محكم من النجم والشجر ؛ وأما شطرها الذى غمره ماء البحيرة فانه عار ، ومن عناية الأقدار أن غمرته المياه فسترته عن العيون .

ولكن حدثنى ياصاح أى هذين الشطرين قد شاقك أمره ، فتاقت نفسك الى ادراك غامضه واجتلاء ما خفى منه ؟ هل خطر لك أن تغوص الى أعماق هذه البحيرة حتى تبلغ أقصى أصول تلك الجبال ، فتطلع على ما خفى من سرها ، وما أبهم من أمرها ؟ أم شاقك منظر هذه القمم الصاعدة فى السماء فأردت أن تبلغ ذراها ؟ إنى لا أظنك تحاول الأولى ؛ فقليل من الناس من تستهويه الأعماق البعيدة ، فيحاول أن يغوص إليها . ونحن ذوو أحلام ضحلة ، لا نجد فى البحث العميق إلا عناء ونصبا . وسنبقى مدى الدهر قانعين بالظواهر تخدعنا وتقنعنا .

أما هذه القمم العالية ، فانك تراها أمامك كل حين ، تبصرها عندما تستيقظ وتشرف عليك من سمائها النهار كله ، وتبدو لعينيك فى الليل البهيم مظلمة قاتمة ، غامضة رهيبة ، لكنها على هذا كله جذابة أبدا . . . وأحسبك قد استهواك أمرها ، وحدثتك نفسك بالصعود اليها . وفى كل نفس دافع ملح يدفعها أبدا إلى المعالى ، ويجشمها فى سبيلها الصعاب .

وكأنى بك ، أيها الصديق ، وقد جلست فوق صخرة مشرفة على البحيرة وجعلت تتأمل هذه القمم ، فتحس شوقا قد تملك قلبك ، وضراما متوقدا يستثير همتك إلى صعود هذه الجبال ، وبلوغ تلك المعالى . . انك تريد أن تسمو حيث يحلق العقاب ، ويسبح السحاب ، حيث تنشق ذلك الهواء النقى الزكى ، الذى تنشقه البزاة والنسور ؛ لا هذا الهواء الأسفل الذى امتلأ بالأدران والأكدار ؛ حيث تنظر من تلك القمم مطلا على هذه الأجساد التى تتحرك على أديم الثرى ، فتراها من ذلك الارتفاع الشاهق على حقيقتها ، فاذا هى فى عينيك دود يزحف ، أو حشرات تحبو .

إن بلوغ تلك القمم لخليق حقا بأن يكون مطمح العين ، ومنية النفس . ولا حرج عليك ان كنت قد شغفك حب تلك المعالى وأهمك التفكير فيها . فطوراً يحملك الأمل على جناحيه ، ويحلق بك فى جو السماء ، فتخال المرام قريبا ، وأنه منك قاب قوسين ؛ وطوراً يثوب اليك الرشد ، فتفكر وتقدر ، وتقارن بين همتك وقدرتك . . فلا تزال بين ارتفاع وهبوط ، واقدام واحجام .

ثم كأنى أراك بعد ذلك وقد قطبت جبينك ، وعضضت على نواجذك ؟ فهل صح عزمك على أن تجشم النفس هذا العناء الثقيل وهذا الجهاد الطويل ؟ لئن كانت تلك عزمتك التى عزمت ، فهل تعلم أى الطرق تسلك كى تبلغ مأربك ؟

إن لهذه القمم التى تراها حديثا شيقاً طليا ، سأحاول الآن أن أسر اليك خبره . فلعلك واجد فيه عونا على النجاح أو سلوانا عن الاخفاق . . .

إن الناس أيها الصديق يبلغون تلك المعالى من طرق ثلاثة ، ليس لها رابع : فأما الطريق الأول فسبيل معبد ممهد ، تحف به الرياحين ، وتجرى حوله الانهار ، وقد نبت فيه العشب الندى ، وأحاط به الثمر الجنى ، وأعجب مافى هذا الطريق أن سالكه لا يكاد أن يسير فيه خطوات قلائل ، حتى يبلغ مأربه ، كأنما الغاية تسعى اليه ولايسعى اليها ، أو كأن الطريق يحمله حملا يبلغه مرامه . فما هو إلا أن يغمض طرفه ثم يفتحه ؛ فاذا الامانى قد تحققت ، والمعالى قد دنت ودانت .

وأظنك تعلم ياصديقى أن ليس لأمثالك وأمثالى أن يسلكوا

هذا الطريق ؛ وأحسبك تعلم أنه مما اختص به أولئك المجدودون ، الذين ولدوا فى حجر النعيم ، ورعتهم نجوم السعد ، وحرستهم عين المشترى، وهزت أرجوحتهم يد الزهرة: وفى وسعهم إن شاءوا أن ينزلوا الى القمة نزولا ، حين يحاول الناس أن يصعدوا اليها صعودا . مامن سبيل الى مجاراتهم أو اللحاق بهم ، فلندعهم فى طريقهم ولننظر هل لدينا من طريق سواه .

أما الطريق الثانى فلعله أعجب من الأول وأغرب ؛ فهو طريق خفى ، شديد الخفاء . غامض كل الغموض ، لا ترى له بدءا ولا تعلم له اتجاها . ملتو غاية الالتواء ، معوج شديد الأعوجاج . وسالكوه قوم قد رزقوا البراعة والمهارة . فهم تارة يثبون ويقفزون ، وتارة يزحفون أو يحبون ويركعون ويسجدون ، وطورا يسلكون طرقا مظلمة حالكة ، وأحيانا يخوضون فى الرجس والدنس . لا تثنيهم رداءة الطريق ولا وعورته ، ولا اعوجاجه والتواؤه . وما أنت ياصاح من هذه الشرزمة التى تصل الى القمة من أقذر السبل . فما أجدرك ان تدع هذا الطريق وتبحث عن سواه .

لم يبق أمامك غير سبيل واحد لا مندوحة لك عنه : وذاك هو الطريق الذى يدعوه أهل تلك النواحى « طريق البغال » : اسم ستنبو عنه أذنك، وتشمئز منه نفسك . وسترفع رأسك إلى السماء كبراً وأنفة ان تنزل الى هذا الدرك . أو تنحط الى هذا المستوى . . . لكن رويدا فليس فى الأمر نزول ولا انحطاط ، وانما هو صعود وارتفاع وارتقاء ، وقد ينتهى بك الى القمة التى تنشدها . فلتخفف إذن من غلوائك ، واذكر أنهم يدعون هذا الطريق بالفرنسية Sentier Muletier ويسميه الانجليز Mule-track والالمان Saumweg وأظنك بعد أن تردد هذا الاسم فى هذه اللغات جميعا . سيصبح فى أذنيك عذبا لذيذا سائغا

ولئن كان فى الاسم ماينفر السمع ، فليس فى المسمى ما يبعث على النفور . ولعمرى — بل ولعمرك أنت أيضا — انه لأشرف السبل وأمثلها ، وأصفاها وأطهرها ، وإن كان طويلا مضنيا مجهدا . فاذا كنت تريد المضى فيما عزمت عليه ، وتحاول الصعود الى تلك المعالى ، فمحال على مثلك ، أن يسلك الطريق الأول ، وأنت أعف قلبا وأنبل نفسا من أن تسلك الطريق الثانى . إذن لا رأى إلا أن تسلك ثالث الطرق ، أو تنثنى عن مرامك ، وتقنع بالاقامة فى السفح ، مكتفيا من القمة بالتطلع اليها والتحديق فيها . . .

طريق البغال هذا سكة اختطوها على جوانب الجبال ، كى يستطيع الرعاة والزراع أن يسيروا فيها ببغالهم وماشيتهم ، وكثيرا ما تصعد فيها البغال منفردة ، وهى تحمل للناس أثقالهم من موضع إلى موضع.

وقد علمها إلف هذا الطريق كيف تسلكه من غير مرشد يرشدها، أو سائق يسوقها .

فى هذا الطريق اذن فليسر من ينشد القمة ، وأنا زعيم أنه اذا أوتى القوة والجلد ، ورزق الجد والدأب ، واستطاع أن يصبر على مايلقاه من عنت وجهد ، وأن يثبت للشدائد التى تنتابه ، وللعقبات التى تعترضه ، ولم يدع لليأس سبيلا إلى قلبه ، وأمدته العناية بشىء قليل من المساعدة ، فانه واصل إلى الغاية مهما طال به المسير .

إن هذا الطريق واضح بين المنهج ، من سار فيه فلن يضل السبيل . . لكنه على وضوحه وبيانه ، ليس سهلا هيناً - ومتى كان الطريق إلى القمة سهلا يا صديقى -؟ فالسائر فى هذا الطريق سيجد فيه غلظة وخشونة ، فان الأيدى لم تتناوله بالرصف والتمهيد ، وحصباؤه خشنة مدببة ، لا ترتاح لمسها الأقدام ، وقد يصادفك فيه الحين بعد الحين ، صخر ناتىء أو شجرة مائلة تعترضك ، فلا بد لك أن تطأطىء الرأس قليلا ، أو تدور من حول تلك العقبات ، أو تحتمل الجرح الذى يصيبك حين يصدمك الصخر الناتىء ، أو الجذع المائل ، وكثيراً ما يحف بك الشوك ذات اليمين وذات الشمال ، فيخدش ساقيك خدشاً ربما أسال منهما الدم قليلا أو كثيرا . . ولا غرابة فى هذا كله ما دمت تسلك هذا الطريق : طريق البغال!

ولقد تقطع فى سيرك الأميال العديدة . فلا تصيب فيه قوتاً ولا شراباً ، فتجتزىء بالقليل من خشن الزاد الذى احتقبته، وتصبر على الظمأ والجوع ، وفى قلبك من الجلد والايمان ما يعين على كل هذا الحرمان . . وقد يسعدك الجد بعد طول السير والعناء فتصادف وسط الصخور نبعاً ضئيلا هزيلا ، فتهش له وتبش وتراه كأنه دجلة أو الفرات ، أو الكوثر المقدس . فتبسط اليه كفيك ، تتخذ منهما قدحا تملؤه كى تبرد به لهاتك . ثم ترى أن هذه الوسيلة لا تغنى فتنحنى نحو الينبوع ، ثم لا تزال تنحنى حتى ترتمى على يديك ورجليك، وتمد نحو الماء فماً قد جفه طول الظمأ ، فلا تزال تعب الماء عبا ، وتصبه فى جوفك صبا ، وتشرب وأنت على أربع حتى تروى غلتك ، ولا تسل عن منظرك البديع فى تلك اللحظة ، ولكن أى غرابة فى هذا وأنت تمشى فى طريق البغال ؟

* * *

وقد تكون الطريق فى بعض نواحيها سهلة ممهدة يحف بها شجر عال فيه للطير وكور . وكأنى بك وقد أطلت عليك من فرع غصينها المياد قبرة صغيرة حديثة عهد بالعالم ، ولم تشاهد قبلك انسانا يمشى على رجلين ، فتدهش لرؤية هذا الكائن الغريب فى طريق

ما رأت به من قبل إلا الدواب ، فتسرع إلى أمها وتهيب بها : « أماه ! إن بالطريق بغلا جديداً ما رأيت من قبل له شبيها ، يمشى على رجليه الخلفيتين ، رافعا رأسه الى أعلى ! . . » فعند ذلك تقول لها أمها العجوز : « ليس هذا يابنتى بغلا بل هو من أبناء آدم ، فان أبصرته فابتعدى عنه ، واختفى عن عينيه ، فانه ليس بالمأمون جانبه . »

هذا بعض مايقال عنك أيها الصديق وأنت بذلك الطريق . ولو كشف عنك الغطاء فأفهمت ماتتحدث به عنك الأرانب فى جحورها والوزغ بين صخورها . اذن لتبسمت ضاحكا من قولها كما فعل سليمان ، ولأدركت أن مسيرك هذا لايخلو من عبث ولهو وتسلية .

ولكن حذار ياصديقى مما قد تلقاه من حشرات فتاكة . فان بالطريق أفاعى وعقارب ، قد فاضت صدورها حقداً وضغينة ، وهى تعشق الاذى حبا فى الأذى . فان مسك منها ضر ذهبت جهودك كلها عبثا ، أو تخلفت بالطريق زمنا طويلا . فامش اذن فى تؤدة واحتراس ، لعلك تسلم من حممها وسمومها .

* * *

والآن قد وصفت لك الطريق الى القمة فسر فيه على اليمن والبركة . . . بيد أنى لا أريد أن أكتمك أن سالك هذا السبيل قد لايبلغ من مرامه أو ينال من بغيته إلا قدرا زهيدا . فقد يدركه الاعياء حين يعجز الجسد عن مراد الروح ، وتخور القوى والأمل فى عنفوانه . أو قد تعترضه عقبة كؤود أو هوة ليس الى اجتيازها سبيل . أو قد تناله تلك الحشرات الفتاكة بسوء ، فاذا أصابك هذا - بعضه أو كله - فلا تذهب نفسك حسرات على مالم تبلغ ولم تنل ، وحسبك انك لم تزل برغم الاخفاق موفور الشرف عزيز الجانب ، لم ترتكب فى سبيل تلك القمة إثما ولم يدنس لك ثوب . . .

والا فهل تؤثر البقاء فى السفح ؟

الديمقراطيـــة (١)

أكثريات وأقليات وتشريع

إن حكم الأكثريات ضرورة لازمة لحكم الجماعات . وأنت ترى الأحكام والشرائع مادامت ترجع فى إبرامها الى اجازة عدد من الناس يخضعون لقانون أساسى ، فلا مناص إذن من أن تتقيد الحكومة برأى الأكثرية وتعنو له . ولقد أيدت المحاكم العليا هذا المبدأ حينا بعد حين ، وخلال طور بعد طور ، على مدى الانقلابات السياسية ، وأيده المؤلفون فى كثير مما أبرزوا من المؤلفات التى تناولت البحث فى النظريات السياسية ، كما وضع موضع التنفيذ الفعلى فى نظام الحكومات فى كثير من دول الأرض . ولا جرم أن حكم الأكثرية الذى يمثل رأى الجماعات له الغلبة حتى الآن فى نظام الحكومات الحديثة

أما فى القرون الوسطى فان القول بمبدأ الأكثرية لم يكن أكثر من حيلة لجأ اليها الحكام ليتقوا بها الصراع بين فريقى الشعب كلما بدرت بوادره ، بأن يظهروا للناس من طريق الجلاد الفكرى مقدار مايترتب على الصراع البدنى فى النتائج . وعلى الضد من ذلك ذهب الديمقراطيون فى الأعصر الحديثة . فأنهم بعدوا عن التحايل على الناس بالأفكار والنظريات ، فأصبح حكم الاكثرية عند بعض المؤلفين عبارة عن « مبدء عام ثابت له من المسوغات الأدبية والخلقية ما يكسبه مناعة قصوى » - كما يقول هنبرج فى كتابه : « نظريات حكم الأكثرية » ويؤيد الاستاذ « مكيفر » هذا الرأى ولكن بأسلوب آخر فيقول أنه - « يجب علينا أن نعتبر أن كل الحكومات التى لاتتجلى فى كيانها إرادة الاكثرية صورا بتراء إذا قيست بأنظمة الحكومات الرشيدة » وهذا الرأى يتضمن ضرورة فكرة أن الارادة العامة هى لدى الواقع إرادة الاكثرية ، لا إرادة المجموع كله . ويقول مؤلف ثالث هو الاستاذ « هرنشو » فى كتابه - « الديمقراطية فى مفترق الطرق » — « إن عقيدة الرجل الديمقراطى لابد من أن تحمله على الاعتقاد بأن أكثرية الشعب لا محالة واقعة على الحق يوما مهما طال عليها عهد الخرق والضلال ، وأنها لابد من أن تعمل جاهدة يوماً ما على أن تقيم العدل وتضع الحق فى نصابه . » على أن الاستاذ « هرنشو » مسبوق بهذا الرأى . فان البابا « إنوسان » الرابع فى (القرن الثالث عشر الميلادى) قد سبقه إلى القول - « بأن استكشاف الحق من طريق الكثرة يكون أهون وأقوم . »

(١) بحث ملخص عن مجلة المجمع العلمى الامريكى للسياسة والاجتماع

إن الحكم من طريق الأكثرية ليس أكثر من نتيجة منطقية، مقدمتها القول بوجوب المساواة الديمقراطية بين كل الناس. ذلك لأن حكم الأكثرية مضمونه أنه ما دام لكل الناس حقوق معلقة فى عنق الحكومة، فان «أصواتهم» يجب أن «تعد» لا أن «توزن». وهذه النظرية تختلف تمام الاختلاف عما كان يفهم من معنى الحكومة فى العصور الوسطى وفى الدول غير الديمقراطية. فان القاعدة فى القرون الوسطى كانت تعطى لمجموع الرعايا المتمتعين بكل الحقوق السياسية حق التصويت العام فى المسائل ذات الشأن التى تتعلق بسلامة الدولة. وهذا يتضمن حقيقة تختلف عن مفهوم حكم الأكثرية كل الاختلاف. فان (عدد الاصوات) كان يقترن دائماً بفكرة «الصفة» مقيسة بقيمة الشخص (صاحب الصوت) ومنزلته فى المجتمع وكان «مرسيليو» البادوى (نسبة الى مدينة بادوا Padua) أقوى من دافع عن هذا الرأى حجة فى العصور الوسطى حتى قال الأستاذ «مكلوين» فى كتابه «تطور الفكرة السياسية فى الغرب» أن «مرسيليو» لم يفكر فى حقيقة الفردية = Individualism - الحديثة التى تنطوى على فكرة تغلب الأكثرية، بل وعى فى عقله دائماً فكرة «الشعبية» التى كانت تعطى «للصفة» من القيمة ما «للعدد».

أما النظرية الديمقراطية الحديثة فقائمة على فكرة «بنتام» فى أن كل انسان انما يعمل على الترويج لمصالحه الذاتية، وأنه عندما تتفق أكثرية ما على سياسة معينة، فمن الواجب أن تعتبر هذه السياسة ممثلة غاية ما تنتهى اليه مصلحة العدد الأعظم من الناس. والى هذه الغاية ينبغى أن يتجه التشريع. لأنه فى ظل هذا النظام تنكمش تلك الميول الشيطانية التى تحاول أن تغلب مصالح «العدد الأقل» من افراد الجمعية على مصالح «الكل الاجتماعى» وتضعف تأثيرها الى أدنى حد ممكن.

على أن هذه النظرية كثيرا ما هوجمت ونقدت. فان «إدموند بيرك» الخطيب السياسى المعروف، كثيرا ما تكلم ضد ماسماه «استبداد الاكثريات» فقال: «ان رجحان الاكثرية من حيث العدد لا يتضمن مطلقا رجحانها من حيث الكفاية أو الميل الى الخير، وحتى لا يتضمن رجحانها من حيث القوة والبطش. والحكمة من نصيب الاقليات اطلاقا، كما أن من نصيبها الاخلاص والاستقامة تغليبا. فى حين أن اليأس والسلطان لا يعوزانها فى أكثر الحالات» وفى هذا تأييد لقول سير «هنرى مين» اذ قضى بحكم قاطع «فى أن عمل الاقليات، التى كانت فى بعض الاحيان اقليات ضئيلة، هو الذى كون لانجلترا صيتها القصى وسلطانها العريض»

ولاحظ الكاتب المعروف «جيمس مارسون»: «أنه فى كل الحالات التى تربط فيها المصالح المشتركة أو الشهوات بين الاكثريات تكون حقوق الاقليات فى خطر محقق» وقضى بأن «الدواء الوحيد هو أن يوسع أفق الحكم وتقسم الجمعية الى عدد عظيم من الأحزاب والفرق التى تمثل كل منها ناحية من نواحى المصلحة، كى يتعذر بذلك نشوء مايسمى (ارادة الأكثرية) بحال من الاحوال. ولقد حاول أحد حكام المديريات فى الولايات المتحدة أن يطبق هذه النظرية ليتقى بذلك شر تحكم الاكثريات، فاتخذ للتمثيل النيابى قاعدة «الملكية» وقاعدة العدد معا، ولقد نجحت هذه «الحيلة» السياسية بعض الشىء فى التوفيق بين رغبة البيض فى الحكم المطلق وتمثيل العبيد فى مجالس النيابة.

ولكن العقدة الحقيقية لم تحل بهذا وحده. فقد فكر حاكم آخر هو الحاكم «كانون» المعروف بمؤلفاته القيمة فى أن يحمى الجمعية لا من استبداد الأكثرية العددية لاغير، بل فى حمايتها من استبداد «الاقليات المنظمة» أيضاً. قال كلما كانت المملكة أوسع نطاقا وأوفر فى النسمات عددا: وكلما اختلفت حالات الرعية وتنافرت الاغراض والاهواء، كانت الصعوبة التى تحسها الحكومة فى معاملة رعاياها على مقتضى ماتتطلب فكرة المساواة الديمقراطية أعظم وأعقد، وأصبح من الهين على فريق معين من الجمعية أن يستبد بفريق آخر ويعبث بمصالحه ويسلبه حقوقه». وعلى هذا ينبغى أن يقوم أساس التمثيل النيابى على مراعاة «العدد» ومراعاة المصالح. وسمى الاكثرية العددية «الأغلبية المطلقة» وسمى الاكثرية المصلحية «الاغلبية المشتركة» أو بالأحرى (أغلبية التشارك)

على أن لأغلبية التشارك ميزة على الاغلبية المطلقة، أو بالاحرى الاكثرية العددية، تنحصر فى أنها تقلل من متاعب الحكومات بالاقلال من عدد الذين يبرمون المشكلات العامة. ولكن لا يخفى مع هذا ان اختيار الوسيلة التى يجب أن تتبع فى تحديد نسبة معينة للتمثيل النيابى، وفى وقاية الحكومة من طغيان المصالح الخاصة، ثم وقاية الاقليات فى الوقت نفسه، لمشكلة من أعقد المشاكل التى تواجهها الجمعيات الديمقراطية فى العصر الحديث.

ففى ظل النظام الحاضر فى الولايات المتحدة مثلا، يقوم التمثيل النيابى على قاعدة الاكثرية العددية. وهذا على مايظهر من طبيعة الاشياء ادنى صور الحكم النيابى الى السهولة، وأبعدها عن التعقيد، بل نقول انه يلوح فى الظاهر انه أقرب أشكال الحكم

الى تحقيق ماتتطلب الديمقراطية من المساواة . ولكن على الرغم من كل مايلوح فى هذه النظرية من البساطة والغرارة ، فانها غير مطبقة فى الواقع . فان اختلاف الولايات التى تتمتع بالحكم التمثيلى من حيث السعة، كما ان النسبة التمثيلية التى تحتم الظروف ان يجرى عليها انتخاب مجالس التشريع، كلاهما يجعل مناقضة هذه القاعدة والفكاك منها امرا محتوما . ففى احدى وثلاثين ولاية من الولايات المتحدة تقع على شرائط نيابية تجعل حكم الاكثرية العددية مستحيلا . خذ مثلا لذلك جزيرة رود Rhode فانك تجد ان كل مدينة لايحق لها أن ترسل الا نائبا واحدا ليمثلها فى مجلس سناتو الولاية . وعلى هذا تجد ان مدينتين مثل « بروفدنس » وتعدادها . . . / ٢٥٠ « وبوتكت » وتعدادها . . . / ٦٤ نسمة تهزمها لدى التصويت البرلمانى ثلاث قرى اذا اتحدت مثل « جرينتش » وتعدادها ٣٦٧ «وفوستر» وتعدادها ٩٠٥ « وشارلستون » وتعدادها ٧٥٩ نسمة . اما فى « كونتكوت» فلكل مدينة ممثلان . وبذلك تجد ان مدائن لايزيد عددها على ٢٥٠ نسمة تمتع بنفس النسبة التمثيلية التى تمتع بها مدنا عظيمة يزيد تعدادها على ١٠٠٠٠٠ نسمة. وفى ولاية «أوهيو» خمسة اقاليم صغيرة تعدادها ٢٨٢ ٦٧ ولها فى الوقت نفسه نفس النسبة التمثيلية التى لغيرها من الاقاليم العظمى مثل أقليم «فرنكلين» ولا يقل تعداد النسمات فيه عن ٤٥٩ ٣٥٩ نسمة. ثم تجد ان أربعة عشر أقليما تعداد نسماتها ٢٢٦٢١٢ يمثلها أربعة عشر نائبا .وأقليما واحداً هو أقليم « كوياهوجا » وتعداده ٨٤٢ ٢٠١ و١ ليس له أكثر من سبعة عشر نائبا ، فزيادة نسبة العدد فى أقليم «كوياهوجا» تبلغ ستة اضعاف ما فى الاربعة عشر أقليما الأولى . ولكن قيمة الاضعاف الستة لاتساوى فى تشريع الولايات المتحدة اكثر من ثلاثة نواب

والمحصل من هذا كله ان جماعات الريف فى الولايات المتحدة تمنح من السلطان فى الحكم والتشريع أضعاف ماتستحق عدديا لينتقص المشرع بهذه الوسيلة سلطان الاكثرية فى المدائن العظمى . ولا يمكن أن يقال مع مثل هذا النظام ان التشريع هنالك خاضع لارادة الاكثرية العددية . وعلى هذا تجد ان مجالس التشريع فى الولايات المتحدة غير خاضعة لا لماسميناه الاغلبية المطلقة ، ولا لما سميناه «اغلبية التشارك» ، ولكنها على الرغم من ذلك « ناقصة » من ناحية انها لاتجعل رأى الاكثرية راجحا على الدوام ، وهذا النقص آت من ناحية عدم مجاراتها لمفهوم النظريات الديمقراطية القائمة على تغليب الاكثرية العددية اطلاقا وبلا حساب ، بل وبلا تقدير لأية نتيجة من النتائج التى تترتب على تغليب الاكثريات تغليبا يؤدى بها الى الاستبداد . على أن كثيرا من العوامل ذات الاثر فى احكام النظام الداخلى فى مجالس التشريع ، وفى نظام اللجان ، وفى الدور الذى تلعبه الاحزاب بحيلها المعروفة ، ووسائلها التمردية يفضى حتما الى حالة يخضع معها التشريع ، ولو خضوعاً نسبيا ، الى الاقليات الصغيرة .

فهل لنا ان نتساءل : هل تحكم الاقليات العالم متسترة بقناع التعبير عن ارادة الاكثريات ؟ وهل الديمقراطية على مانفهمها من الكتب غيرها لدى التطبيق ؟ وهل لنا أن نتخيل ان « الوهم » هو الذى يسوق الناس الى حيث يريد بهم تفاعل قوى انسانية مسلطة عليهم ؟ وهل لنا مع هذا أن نعتقد ان الاختيار لدى الجماعات أضعف اثرا منه فى الافراد ؟ بل نتساءل هل الفردية هى القوة الشاملة التى تحتكم فى نظام الاشياء الانسانية ؟

ا . م

حول مقال (تين)

نشرنا فى العدد الثامن عشر مقالا عن (تين) بعث به الينا من حلب السيد صبحى العجيلى . ولم يدر بخلدنا أن شهوة النشر تدفع بأحد شبابنا الى أن يطفئها من منهل غير مشروع ، حتى أرسل الينا الفاضل عبد الحليم محمد حمودة من ادباء الاسكندرية مقالا عنوانه (لصوص الأدب) يثبت فيه أن مقال العجيلى منقول برمته عن كتاب الدكتور هيكل (تراجم مصرية وغربية) وقد رجعنا الى هذا الكتاب فوجدنا النقل ظاهرا لا شبهة فيه

فهل يريد هؤلاء السادة أن نطالع كل كتاب ونطلع على كل صحيفة قبل أن ننشر شيئا فى الرسالة ؟ ! ذلك ما لا يضطلع به الجهد ولا يتسع له الوقت ولا يزكو به الأدب !

قصة الحارس

كان الأديب السيد محمد المدنى المعلم بمدرسة الصناعات الزخرفية موفقاً فى ملاحظته على ترجمة السيد محمد ناجى الطنطاوى الدمشقى لهذه القصة فقد قال إن المترجم على دقته أخطأ فهم الأصل فى كثير من المواضع فجاءت الترجمة شوهاء خاطئة ، مثال ذلك أنه ترجم هذه الفقرة : J,avais placé là, comme garde un ancien gendarme en retraite, un brave homme, violent, sévère sur la consigne, terrible aux braconniers et ne craignant rien

بقوله . « مكثت هناك كالحارس أو كشرطى متقاعد شجاع شديد البأس على باب قلعته، وكنت لا أخاف شيئا » والصواب : « وهناك أقمت للحراسة جندياً متقاعداً طيب القلب شديد البأس لا يهاب شيئاً، يحرص كل الحرص على فعل مايؤمر به ، شديد البطش بمن يحاولون الصيد فى أرض غيرهم. وترجم Je me suis mal exprimé بقوله (فأقمت عنده باسم مستعار) والصواب (أنى أسأت التعبير عن قصدى)

حديقـــة ..!

كان ألذ ما أتذوقه من جمال بغداد وقفة فى حديقة النادى العسكرى كل صباح! ! فكنت ترانى أحرص عليها حرص العابد المتحنث على أداء صلاته ، أو العاشق المتوجد على لقاء فتاته، كنت أغشى كل يوم هذا المجتلى الساحر، فى رونق الضحى أو فى متوع النهار ، فأجد الشمس قد لألأت ذوائب النخل وغوارب النهر ، وأخذت ترشق بأشعتها الظلال النديّة من خلال الشجر ، وبنات الهديل يبحثن كعادتهن فى عساليج التين وأغصان التوت بأرجلهن ومناقيرهن ، وهن يرجعن على التعاقب الحان الخريف ؛ والحديقة مطلولة النبات منضورة الزهر تتنفس بالفاغية تنفس الطفل الحالم ؛ والسكون مرهوب الجلال أنيس الوحشة يعمق ثم يعمق حتى تكاد تسمع النبات وهو ينبت ! ؛ والنادى خلواً من اهله فلا تجد إلا بستانياً يعمل فى صمت ،وغلاماً يكنس فى هدوء ، وطفلين جميلين يجيئان أحياناً فيجلسان فى الشرفة أو يمشيان فى الحديقة ، فلولا نشوز خادمهما الكهل، ومنظر هندامه الزرىّ الشكل، لحسبتهما زهرتين من زهورها ، أو عصفورين بين طيورها ، ! فأسير فى الروضة متئد الخطى مرسل النفس مرهف الحس ، تارة بين مماشيها ، وتارة فوق حواشيها ، فأقف عند كل شجرة، وأحيّى كل زهرة، وأسأل النبتة الوليدة بالأمس ماحظها اليوم من سر الحياة ونعمة الوجود ! ثم أصعد درجة الى الشرفة ، وأنعم ساعة بتلك الوقفة ، فأتنسم هواء النهر ملء رئتىّ ، وآخذ جملة المنظر بمجامع عينىّ ، ! وأى منظر يسحر اللب ويملك الطرف كهذا المنظر الفاتن ؟ ! الحديقة من ورائى تضوع بالنسيم الأريج وتروق بالرواء البهيج وتروع بالسكون الملهم ! ودجلة الخالد من أمامى تتجاوب أصداء الأمم خافتة فى لجاجه . وتتهادى خفاف القوارب راقصة بين أمواجه ، وأنا بين الشجر والماء كالطائر بين الأرض والسماء ، يسبح خاطرى فى أجواء الماضى القريب والبعيد صاعدا الى فكرة ، أو هابطا على ذكرة ، أو حائماً حول منظر كهذا المنظر تدفق به قلب فى قلب ، وامتزجت فيه نفس بنفس ، وتجمعت الأحلام والأمانى كلها فوق رقعة صغيرة من أرضه ، وتحت سرحة فينانة من روضه !

***

لا تظنن هذه الحديقة فيحاء قد تأنقت فيها يد الطبيعة وتألق بها فن الانسان ! إنما هى مربع من الأرض على قدر ما يتسع له فناء كبير فى منزل فخم ، يشقها ممشيان معروشان قد تعارضا على شكل صليب فقسماها الى أربعة أقسام سواء ، وفى هذه الأقسام وما ألحق بها قام دوح السدر ، وبسق سرح الكافور ، وانتظمت على جوانب مماشيها أشجار النارنج ، وانتثرت على معظم أرضها الوان قليلة من النور الجميل والورد العطر . فسماؤها كما ترى للشجر وارضها للزهر وجوها للعطر وهى كلها لنوع من الجاذبية يجعلها على بساطتها فتنة الفنان وجنة المفكر !

ليت شعرى ما مصدر هذا السحر الذى يشع فى عينى ويشيع فى نفسى كلما دخلت هذا المكان ؟ أهو ذاك البناء المتأكل الذى يقوم فى جنوبيه كأنه المعقل البالى أو الدير المهجور ، أم هو ذلك النهر الجميل الذى يجرى فى غربيه كأنه الزمن الدافق أو الكتاب المنشور ، أم هو ذلك المزيج العجيب من جلال القدم فى المكان وجمال الطبيعة فى البستان وعظمة الحياة الماثلة فى النهر ؟ ؟

***

ليس للروح العسكرى فى هذا المكان الشعرى مظهر ولا أثر . فما تعهده من الخشونة فى الثكنات ، والعنف فى الحركات والقسوة فى النظرات والكلمات ، يحول هنا الى ذوق فنان ورقة شاعر وهدوء فيلسوف !

. . . .

. . . .

كادت هذه الخواطر الجريئة الملحة تذهلنى عن حديقتى واليوم عيد من أعياد الطبيعة برزت فيه عارية من الحلل غانية عن الحلى ! والخريف فى العراق هو الربيع احترقت

غلائله الوردية فى لظى يوليو ! ! فهو على تجرد أرضه من الانوار والأزهار ، وتحجّب سمائه أحياناً بالغيم وأحيانا بالغبار ، جميل البسمات عليل النسمات رفاف الاديم . فها نحن أولاء بين أعقاب الخريف وطلائع الشتاء والشمس لا تزال فى ثغر السماء ابتسامة حلوة ! تضاحك النهر الحبيب فتزيده طلاقة . وتداعب الزهر الكئيب فتكسبه أناقة ، وتطالع الجو المقرور فتقبسه حرارة ، وتصارع برد الموت فى أوراق النارنج وأطراف التوت فتطيل بقاءها فترة اخرى من الزمن ! وهذه اليمامات السواجع ، مازلن يأوين الى أعالى الشجر يمرحن فى الضوء وينعمن بالدفء ويهتفن بالاهازيج كأنهن فى أمَنَةٍ من حلول يناير وهو منهن على ليال قلائل !! وهذا دجلة السعيد يتنفس موجه بالنعيم ، ويطفح غرينه بالذهب ، ويقذف تياره بالغثاء والزبد ، بعد مانخره القيظ فنشّ حتى انكشف ضميره ، وانقطع خريره ، وكاد يزحف الشبوط (١) والزورق فيه على القاع ! فالبواخر تصعد صافرات فى سرعة ، والاطواف (٢) تنحدر صامتات فى بطء ، والقُفف (٣) تعبر موقرات فى هوادة ، وقوارب الصيادين وزوارق الملاحين تتعارض وتتحاذى فى عباب النهر كأنها الخواطر الحائرة فى الفكر العميق ، والطيور الصائدة تحوم على وجوه الماء باجنحتها الشهب حومان الآمال على ستر الغيب الصفيق ، والبجعة (٤) الملكية تطعن فى صدور الموج بمنقارها الطويل العريض وهى تسبح آمنة فى حمى البيت العتيق ، وأنفاس دجلة اللاهث من عبء القرون تتصاعد الىّ حاملة انين الامواج وخفق المجاديف وغماغم الكرخ فتختلط بتجاوب اليمام على الشجر ، وتناوح الرياح بين الغصون ، وحشرجة الاوراق الذاوية على الارض ، فتتألف من هذه الاصوات الخافتة موسيقى روحية شجية تبعث رواقد الاحلام وتثير كوامن الآلام وتقطع بين النفس وبين وجودها الحاضر !!

***

ايه يا دجلة ياسجل الامم وراوية العصور ! لَشَدَّ مافنيت فى خريرك ضحكات ، وامتزجت بنميرك دموع ، وخفيت فى ضميرك اسرار !! لقد رأيتك بالامس ضارعا قد لصق خدك بالارض حتى همّ بخوضك الخائض ، وهمدت حياتك حتى اوشك أن يسكن عرقها النابض ، ثم رأيتك اليوم وقد غاثك الغيث فجاشت ينابيعك الثرة بالنماء والثراء والقوة ، ثم أقبلت كدأبك منذ آلاف السنين داوىَ الدارات صخاب اللج تعرضها مُلحا على بنيك فيعرضون عنك اعراض البطر ، ويؤثرون على فيضك الميمون ودْق المطر ، ثم يهينون كبرياءك يا أبا الحضارات فيجعلون مبلغ همك حمل الارماث ونقل القُفف ! فهل يعجبون اذا فار غضبك فجرفتَ السدود وجاوزت الحدود وأصبتهم بالغرق ؟ . . . .

أحمد حسن الزيات

نعى هين

ناعٍ سعَى بكتابٍ وَدَّ مِن حدبٍ   علىّ مما حواه لو يواريه !

فقلتُ - لا وَجِلَتْ نفسى ولا حفلت   أناعبٌ أم بشيرٌ من ألاقيه -

أدِّ الرِّسالةَ لاتُحجِمْ بها جزِعاً   فليس يَكربُنِى من أنت ناعيه !

أثَمَّ فى الناس مَن آسَى لفرْقتِهِ   فَأرْهَبَ الموتَ إذ تعدو عواديه؟

إنَّ الزمانَ رَمَى كبرَى مصائبه   فما أُبالى جديداً من غواشيه

وكيف يخشى الردى من ليس يكربُهُ   لو أنَّهُ اليوم مَن سارتْ مَنَاعيه

مَضَى الذى حطَّمتْ قلبى مَنيَّتُهُ   ومن وددتُ بروحى لو أُفدِّيه

من عشت أمرح فى شتى مآثرِه   مدى الحياة وفى طولَى أياديه

ومن برَغمى أَنى قد حييت وقد   حواه فى الأرض جافى الجنب نابيه

ومن أُردِّدُ عمرى ذكره وله   أحيا بقلبٍ ثخينِ الجرح داميه

كنزٌ من الود لم أقدُر نفاستَه   حتى دهانِىَ محتوم الردى فيه

أمسيت أبحث عن محض الوداد سدىً   وكان لى أمس أقصى ما أُرجِّيه

أقضى مع الناس عمراً خالياً صفِراً   من الوَداد كمَن فى القفر يطويه

فخرى أبو السعود

---

(١) نوع من السمك

(٢) الاطواف كالارماث أعواد من الخشب توضع على قرب منفوخة يحمل عليها فى الماء

(٣) القفة نوع مستدير الشكل من السفن العراقية الاثرية يرجع تاريخه الى الكلدانيين

(٤) هذه البجعة تعيش فى القصر الملكى وهو واقع على النهر شمالى هذه الحديقة

مطالعات فى التصـــوف

عوارف المعـارف . معرفة النفس

— ٤ —

ليس الباب السادس والخمسون من كتاب عوارف المعارف الذى أريد أن أحدثك عنه فى هذا الفصل بابا من أبواب التصوف فحسب. وإنما هو قد جمع الى المكاشفات الصوفية مذاهب فلسفية ونظريات يسيكولوجية لها قيمتها من حيث إظهارنا على معرفة ماهية النفس والروح والقلب والعقل من ناحية . وفى الأبانة عن علاقة هـذه الأشياء بعضها ببعض وإعتماد بعضها على بعض وتأثير بعضها فى بعض من ناحية أخرى .

ويرى مؤلف عوارف المعارف بادىء ذى بدء أن الكلام فى الروح صعب المنال. وأن الامساك عنه خير من التعرض له والاشارة اليه . فقد قال تعالى فى كتابه العزيز : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » وهذه الآية الكريمة هى التى هبط بها جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم حين سأله اليهود أن يخبرهم عن الروح وعن كيفية تعذيب الروح التى فى الجسد . ولم يكن قد نزل على النبى حتى ذلك الحين شىء فى الروح فنزلت هـذه الآية . وهى تدلك دلالة واضحة لا لبس فيها ولا غموض على أن معرفة ماهية الروح أمر مقصور على الله وحده . وإذن فكيف يتسنى لمخلوق أن يخوض فى هذا الموضوع أو يشير اليه وقد أمسك النبى عنه ؟ أليس الأجدر بالانسان أن يتركه جانبا تشبها برسول الله واستمساكا بتأدبه ؟ على أن الفلاسفة والعلماء لم يقفوا عند هذا الحد وإنما عرضوا للروح فتناولوها بالبحث والتحليل وحاولوا محاولات شتى، أرادوا أن يكشفوا بها عن ماهية الروح وكنهها ومصيرها بعد الموت. وهم فى محاولاتهم هذه اختلفوا فيما بينهم اختلافاً قويا نلمسه فى تضاعيف كتبهم التى أودعوها أراءهم ومذاهبهم . ومن هنا ترى مؤلفنا يقول أنه لم يوجد اختلاف بين أرباب النقل والعقل فى شىء كالاختلاف فى ماهية الروح . وأنك لتراه يقول أيضا إن من بين الذين تناولوا هذا الموضوع قوماً ركبوا متن الشطط فخرجوا على الشريعة وخالفوا أصول الدين . على حين أن من بين الذين استمسكوا بالشريعـة وتكلموا فى ماهيـة الروح قوماً اعتمدوا فى تحليلهم للروح على الاستدلال والنظر . وقوماً آخرين كانت طريقهم طريق الذوق والوجد . ومن هنا خاض علماء الصوفية فى موضوع الروح وأرادوا تعرف ماهيتها، وكان الأولى بهم والأجدر أن يمسكوا عن ذلك تأدبا بأدب النبى

وبعد أن أظهرنا مؤلفنا على ما لمسألة الروح من خطر عظيم ودقة فائقة تعلو على إدراك الانسان نراه يعمد الى تدعيم رأيه بذكر طائفة من أقوال المتصوفة رأوا رأيه وذهبوا مذهبه فى أن الروح أمر يتعذر إدراكه ويدق فهمه . ومن بين الأقوال التى ذكر قول الجنيد الذى جاء فيه : « الروح شىء أستأثر الله بعلمه ولا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود . » وقول ابى عبد الله النباجى الذى يظهرنا فيه على أن الروح جسم يلطف عن الحس . ويكبر عن اللمس. ولا يعبر عنه بأكثر من موجود . »

وقد اختلف الناس فى الروح هل هو قديم أم محدث . واختلفوا أيضاً فى أمر الروح الذى سئل عنه رسول الله . فـذهبوا فى ذلك مذاهب شتى وأدلوا بآراء تختلف فما بينها اختلافا ظاهراً قويا . ولعل أهم مايلاحظ على هذه الآراء أنها تدور جميعا حول الروح الذى لبس فى الجسد . فانت ترى مثلا أن فريقا قد ذهب الى أن الروح الذى سئل عنه النبى انما هو جبريل . وان فريقا آخر قـد انتهى الى أنه ملك . ومهما يكن من شىء فقد اتفقت هذه الآراء على أن الروح الذى هو من امر الله شىء آخر غير الروح الذى فى الجسد والذى يرى مؤلف عوارف المعارف أن الكلام فيه مباح غير محظور .

والروح التى فى البدن هى قوامه ودعامته استحق بها اسم الحياة . بها ثبت العقل وقامت الحجة . ولولاها لتعطل العقل ولما كانت له أو عليه حجته . هى جوهر مخلوق ولكنها الطف المخلوقات وأصفى الجواهر . بها تترآى المغيبات ويكون الكشف لاهل الحقائق .

وتنقسم الارواح الى أقسام : ـ

(١) أرواح تجول فى البرزخ وتبصر أحوال الدنيا والملائكة . وتسمع ما تتحدث به عن أحوال الآدميين .

(٢) أرواح تحت العرش

(٣) أرواح طيارة الى الجنان والى حيث شاءت من السعى الى الله أيام الحياة .

وإذا كانت الروح مخلوقة فقد قال بعضهم . انها خلقت من نور العزة وان ابليس خلق من نارها . وقال بعضهم : ـ قرن الله العلم بالروح فهى للطافتها تنمو به كما ينمو الجسم بالغذاء »

ويتناول مؤلفنا بعدما قدمت لك بسط آراء المتكلمين فى الروح ، وهو يلاحظ أن أكثر متكلمى الاسلام يميل الى أن الانسانية والحيوانية عرضان خلقا فى الانسان يذهبهما الموت . وان الروح هى الحياة بعينها بها صار البدن حيا . فاذا انفصلت عنه أصبح ميتا ،

ولكنها اذا عادت اليه يوم القيامة عادت اليه الحياة

وذهب بعض المتكلمين الى أن الروح جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة، وهذا راى أبى المعالى الجوينى .

على أن السواد الأعظم من المتكلمين قد انتهى الى أنها عرض، ولكن هذا المذهب مردود عليه بالأخبار التى دلت على أن الروح جسم لما فيها من العروج والهبوط والتردد فى البرزخ . ومن ثم لا يمكن أن تكون الروح عرضا مادامت قد وصفت بأنها جسم . فليس الوصف الا معنى والمعنى لايقوم بالمعنى

وأما مصير الروح بعد خروجها من الجسد فقد حدثنا عنه مؤلفنا فيما أوردمن كلام ابن عباس . سئل ابن عباس : أين تذهب الارواح عند مفارقة الابدان ؟ فقال : أين يذهب ضوء المصباح عند فناء الادهان ؟ قيل له : — وأين تذهب الجسوم اذا بليت ؟ قال : فاين يذهب لحمها اذا مرضت ؟

وأكبر الظن أن آراء المتكلمين فى الروح ومذاهبهم التى اوجزها لنا مؤلف عوارف المعارف تكفى لاعطائنا صورة لابأس بها لهذا الخلاف الضعيف الذى كان بينهم حول مسألة هى من ادق المسائل واعوصها ان لم تكن ادق المسائل واعوصها جميعا . ولعل دقة المسألة وخطورتها آتيتان من حيث ان باحثها مضطر بحكم بحثه الى أن يعرض لما جاء به الكتاب والسنة . ثم هو مضطر فوق هذا الى ان يلائم بين رأيه وبين مادعا اليه الكتاب والسنة . ومهما يكن من شىء فقد رأى المتكلمون أنفسهم امام مايقال لهم من ان الموجودات محصورة . فكل موجود أما أن يكون قديما اوجسما أوجوهرا أو عرضا . ومن هنا كان لابدلهم من أن يتعرفوا ماهية الروح ويطبقوا عليها هذا الذى قيل لهم عن حصر الموجودات . فهل الروح قديمة ؟ هل هى جسم ؟ هل هى جوهر؟ هل هى عرض؟ تلك اسئلة رأوا انفسهم مضطرين الى الاجابة عنها . وقد أجابوا عنها بالفعل . فرأى فريق منهم ان الروح قديمة لانها امر والامر كلام والكلام قديم . ورأى فريق آخر انها جسم . وذهبت طائفة الى انها جوهر ، وطائفة اخرى الى انها عرض كما اشرت الى ذلك آنفا . ويرى أبو طالب المكى أن الارواح اعيان فى الجسد كما يرى ان النفوس كذلك . فهو يقول ان الروح تتحرك للخير ومن حركتها يظهر نور فى القلب يراه الملك فيلهم الخير عندئذ . وإن الروح تتحرك للشر فتظهر فى القلب ظلمة يراها الشيطان فيقبل حينذاك بالاغواء

يتبع

محمد مصطفى حلمى
ماجستير فى الآداب

قص الشعر فى الادب العربى

نشرت الأهرام كلمة تحت عنوان « مبتكر مودة قص الشعر » ذكر الكاتب فيها نقلا عن احدى المجلات الانجليزية أن مبتكر هذه الطريقة هو المسيو سير بليغوسكى البولندى المعروف وهو يقيم الآن بلندن ، والذى أعرفه أن هذا النوع نشأ من عصر بعيد . فقد يجد الباحث فى الأدب العربى كثيرا من الصور الشعرية يعرف منها كيف نشأت هذه الطريقة فى العصور العربية الزاهية أيام سلطان العباسيين بالمشرق وبنى أمية بالأندلس، ذلك العهد الذى مال فيه العرب الى كثير من ألوان الترف واطمأنوا فيه الى الدعة وخفض العيش . ولقد كان من آثار هذا الاغراق فى النعيم والافتنان فى أساليبه أن كانوا يعبثون بشكل الفتاة الطبيعى فيقصون شعرها ابتغاء منظر طريف يمتعون به عيونهم فى مجالس الشراب ، كما كان يجد الشعراء فى ذلك لذة فنية تعينهم على اتساع مدى خيالهم الشعرى ، ويطلقون على هذه الفتاة الصغيرة (جارية غلامية) ولم يك هذا النوع من العبث بالشكل الطبيعى مقصورا على الفتيات، فقد كانوا يضعون الاقراط فى آذان سقاتهم من الغلمان ويطلقون على كل منهم (غلام مقرطق) وسيجد القارىء فى هذه الصورة تأييدا لما ذكرت

قال عامر بن شهيد أحد شعراء الأندلس يمدح أميرا ينتسب الى الاسرة العامرية ، وقد استهل قصيدته بوصف الخمر وأدواتها والجارية التى قامت على الشراب :

أذن الديك فتب أو ثوب ... وانضح القلب بماء العنب
وتأمل آية معجزة ... ماقرأنا مثلها فى الكتب
ركع الابريق من طاعته ... وبكى فابتل ثوب الاكؤب
ولول المزهر ينفى طربى ... وتطربت فأعيا طربى
وربيب قام فينا ساقياً ... كالرشا أرضع بين الربرب
ظبية دون الظباء قصصت ... فأتت غيداء فى شكل صبى
فتح الورد على وجنتها ... وحماه صدغها بالعقرب

والذى ينظر إلى البيت السادس يعرف جيدا كيف كانت (مودة قص الشعر) معروفة بين الأندلسيين ، ولعل أول من نقلها إليهم زرياب (المغنى المعروف) فقد وفد من المشرق فى عهد الرشيد بعد أن حقد عليه استاذه اسحاق الموصلى فأقام كثيرا من عادات البغداديين فى ربوع قرطبة وماجاورها وأحدث وترآ خامساً للعود . فمن المؤكد اذن ان هذه الطريقة نشأت فى الدولة العربية ويرجح انتقالها من بغداد ألى قرطبة لسبق الأولى فى الحضارة نتيجة اختلاط العرب بالفرس واليونان ولاسيا بعد الفتح العربى ؟

على شرف الدين
دبلوم دار العلوم

فلســــفة ليبنتز

Gottfried Wilhelm Leibniz

١٦٤٦ — ١٧١٦

للأستاذ زكي نجيب محمود

١ — نظرية ذرات القوة　　٢ — التآلف الأزلي
٣ — نظرية المعرفة　　٤ — الله والعالم

لست أدرى كم ندنو من الحق حين نقرر أن لكل أمة طابعا فى التفكير يطبع انتاجها الفكرى بوجه عام، ولولا أن ما تبادله الاستاذ الكبير الدكتور طه حسين والاستاذ العقاد لم يجف مداده بعد. لزعمت هذا التقسيم فى يقين لا يعرف الشك. ألا تتميز انجلترا بالنزعة الواقعية Realism، والمانيا بالنزعة التفكيرية Idealism ؟ أليست انجلترا مهدا للأفكار العملية التى تقف عند الواقع المحس « لا تعدوه » بل تكاد ألا تعترف بما وراءه. أليست المانيا منبتا خصبا للمجهود العقلى العميق، الذى يضرب فيما وراء الطبيعة، ويوشك ألا يعترف لهذا العالم المادى بحقيقة أو وجود، ثم اليست فرنسا موطنا للنزعة الرياضية ؟ ألا يتميز الرجل الانجليزى بالوضوح الذى أدى به الى التمسك بالحقائق الواقعة، والفرنسى بالدقة التى طوحت به فى بيداء اللا أدرية والشك، لأنه ينشد حقا يبلغ حد اليقين الرياضى فلا يجد. كما يتميز الألمانى بالعمق فى التفكير الذى انتهى به الى اعتبار الفكر أصلا للوجود ؟ عندى أن هذا كله حق يؤيده تاريخ الفلسفة.

ولم يكن ليبنتز فيلسوفا ألمانيا فحسب، انما كان أب الفلسفة الألمانية الحديثة غير منازع، أفتستطيع اذن أن تصور لنفسك عمق تفكيره وامعانه فى البحث عما وراء الطبيعه ؟ وقد شاء له ربك أن يكون مهبطا تجتمع عنده أطراف النقائض، فيمثلها جميعا، ثم يخرجها للناس فلسفة متحدة متجانسة، فهاهو ذا قد تسلم ميراث ديكارت وسبينوزا من ناحية، وباكون ولوك من ناحية أخرى، فالتقت لديه بذلك سلسلتان متضاربتان من التفكير، احداهما (ديكارت وسبينوزا) تنكر الحقائق الفردية وتؤكد قانونها الخالد: أى أن هذا الانسان المعين أو تلك الشاة أو ذلك الطائر أو ما شئت من أفراد، ليست حقائق مقصودة لذاتها، انما هى مجرد تطبيق لقانون شامل، فأما هذه الافراد فذاهبة مع الموت، وأما ذلك القانون فخالد لا يعتريه الفناء. والأخرى (باكون ولوك) تسخر من كل هذا، ولا تعرف الا هذه الحقائق الفردية التى نراها ونلمسها. التقى هذان المذهبان فى رأس ليبنتز فوقف منهما، موقفا وسطا، وأخذ من كل منهما بمقدار، ففرض أن العالم يتكون من ذرات أولية لا تقبل التجزئة وليس لها امتداد، ثم زعم أن كل ذرة منها (يلاحظ أننا نستعمل كلمة ذرة هنا فى شيء من التجوز لأن الذرة المادية تختلف عن الذرة monad التى فرضها ليبنتز فى أن للاولى امتدادا وانها تقبل التجزئة، وأما الثانية فروحية تتألف من القوة لا من المادة) حقيقة متميزة مستقلة الا أنها فى الوقت نفسه تشمل صورة الكون بأسره فى جوفها وتمثله أدق تمثيل. وبقدر دقتها فى هذا التصوير والتمثيل يكون دنوها من الكمال. فهى فردية من ناحية وكونية من ناحية أخرى. ولا بد لنا لكى نفهم ليبنتز على حقيقته أن نتناول بالشرح نظريته فى الذرات ثم فكرته فى إئتلافها، كما نلم برأيه فى المعرفة وطريقة وصولها الى الذهن. وسنرى أنها محاولة أخرى للتوفيق بين ديكارت ولوك، فقد مزج بين ما ارتآه الأول من وجود آراء فطرية تولد مع الطفل عند ولادته ولا تجيء عن طريق التحصيل، وما ذهب اليه الثانى من أن العقل يخرج الى هذا العالم صحيفة بيضاء ثم تخط فيها التجارب ما تشاء

١ — نظرية ذرات القوة monadology

مم تتكون أجزاء هذا الوجود ؟ مم يتكون هذا الرجل وذلك الماء وتلك القطعة من السكر ؟ يجيب ديمقريطس أن هذا الوجود على تباين ظواهره إنما يتكون من ذرات اجتمع بعضها الى بعض، فكونت هذا الشيء أو ذاك، وينكر ديكارت وسبينوزا هذا القول ويؤكدان أن أجزاء العالم على اختلافها إنما تتكون من مادة كونية متحدة لا تنقسم الى أجزاء لأنها عنصر أولى واحد، ولكن ليبنتز يرد الفكرتين جميعا، فهذه المادة الكونية التى فرضها سبينوزا شاملة للوجود تبرز الكون حقيقة واحدة تتلاشى فيها كل الحقائق الفردية التى نصادفها فى الحياة العملية، وتلك الجزئيات التى زعمها جماعة الذريين أصلا للاجسام، لابد أن تكون - نظريا على الأقل - قابلة للتقسيم الى ما لا نهاية، ما دامت قطعا من المادة، لأن الذهن لا يستطيع أن يتصور جزءاً ماديا لا يقبل التجزئة، وإذن فهى مركبة ونحن إنما نقصد الى إيجاد أبسط العناصر التى يمكن اعتبارها أصلا مطلقا للكون. فلا بد لنا من الامعان فى البحث حتى ننتهى الى

عنصر لا يقبل التجزئة ، ويكون له فى الوقت نفسه وجود حقيقى ملموس .ولاتصلح النقطة الهندسية أن تكون هي العنصر المنشود. لأنها تحقق شرطا واحداً وهو عدم قابلية التقسيم ، ولكن لايتوفر فيها الوجود الحقيقى ، كذلك لايجوز أن نفرض جسما ماديا كائنا ما كان حجمه ، لأنه وان توفر فيه الوجود الحقيقى ، لا يحقق شرط البساطة ، إذ لايسعنا إلا أن نتصور إمكان تجزئته الى مالا نهاية له من الأجزاء . يقدم ليبنز هذا الاعتراض ، ثم يزعم أن ذرات القوة هي العنصر المنشود ،لأنها موجودة لاريب فى وجودها. وليست مادية حتى تتهم بامكان التقسيم .وهى فضلا عن ذلك منبثة فى الكون بأسره. هذه القوى الأولية monads هي التي تتكون منها حقيقة كل شيء ، فهى العنصر الذى بنيت منه المادة والروح على السواء . وهى تختلف عن المادة التى فرضها سبينوزا فى انها ذرات فردية لانهائية فى عددها وطبيعتها . اما مادة سبينوزا فهى كتلة متحدة متجانسة كما تباين ذرات ديمقريطس فى أنها ليست مادة متينة بل مشحونة بالحياة والحركة . وهى ليست مجرد تكرار الصورة بعينها بل متباينة مختلفة الى أقصى حدود التباين والاختلاف فى الكيف والفاعلية . حتى إنك لاتجد فى الكون كله ذرتين متشابهتين ، لأنه لو كان ذلك لكان خلق احداهما عبثا لامبرر له . ولهذه الذرات القوية (نسبة الى القوة) خاصتان : فهى فى آن واحد شاملة للكون ومنعزلة عنه . هى من ناحية وحدات بسيطة مستقلة وليس لها نوافذ تطل منها على العالم الخارجى أو ينفذ لها شيء منه ، لايمكن أن توجد من عدم كما يستحيل أن تعدم بعد وجود الا بارادة الله . كل واحدة منها عالم صغير يسير بمقتضى طائفة من القوانين كما لو لم يكن فى الوجود غيرها سوى الله . وهى من ناحية أخرى شاملة للكون ، لأنها وإن تكن منعزلة بنفسها مستقلة فى سيرها إلا أن لها من القوة ما تستطيع به أن تمثل كل ما يحتوى الكون من ذرات قوية ، أو بعبارة أخرى كل ذرة ينعكس فيها الكون كله ، بحيث لو استطعنا أن نصل إلى فهم واحدة فقد فهمنا الكون بأسره. فكل واحدة تحمل فى طياتها ماضى العالم ومستقبله . ويعزو ليبنتز إلى هذه الذرات نوعا من الادراك يختلف عن ادراك الكائنات المفكرة ، أى أن هناك درجات للادراك لا نهاية لها ، ومعنى ذلك أنه لا يعترف بوجود المادة الميتة ، انما أجزاء المادة جميعا ضروب من الأحياء تختلف فى كمية الحيوية والتفكير. وبعبارة أخرى يقول : أن هناك درجة من الادراك الصحيح الكامل ، ثم يأخذ هذا الادراك فى النقص والغموض كلما نزلت فى سلم الكائنات ، وكلما كان ادراك الذرة واضحاً وتصويرها للكون دقيقاً ، كانت أكثر حيوية وأحد نشاطاً ، والله تعالى هو وحده القادر على أن يكون له ادراكات واضحة لا يشوبها شيء من غموض أو مايشبه الغموض ، واذن فهو وحده عبارة عن فاعلية خالصة ونشاط مطلق ، وكل مخلوق سواه من الانسان فنازلا الى أحط الكائنات ، يكون فعالا من ناحية ومنفعلا من ناحية أخرى ، وهذا الجانب المنفعل من الذرة ، أى الجانب السلبى ، هو ما يسمى بالعنصر المادى. أى أن وجود المادة السلبية فى الذرة القوية هو الذى يحول دون وضوح ادراكها . وبعبارة واضحة. كلما رجحت فى الكائن كفة الجانب الروحى الفعال على العنصر المادى السلبى كان أكثر وضوحا فى ادراكه

وانك لترى العالم مليئا بهذه الذرات المدركة ، كل منها مستقل منعزل . ومع ذلك لن تجد بينها فواصل تباعد بينها ، بل هى متداخلة بعضها فى بعض ، متصلة على أشد ما يكون الاتصال ، وهذا ما يسميه ليبنتز بقانون الاستمرار . فليس ثمة تناقض أو اضطراب ، أبدأ من المادة الجامدة الى العقل المفكر تجده طريقا واحدة متصلة يتزايد فيها الادراك شيئاً فشيئا فى تدرج غير محسوس وسر من النبات الى الانسان فسترى أنك انما تسلك سبيلا ليس فيها حوائل أو عثرات ، بل تعلو بك قليلا قليلا حتى تنتهى إلى قمة الجبل دون أن تشعر بالصعود !

ويشير ليبنتز الى مراحل ثلاث تجتازها فى طريقك من الكائنات الدنيا الى طبقاتها العليا . فذرات الطبقة السفلى . أى ذرات الجماد والنبات تدرك وكفى . فهى أشبه ما تكون بالأحياء الغافية أو النائمة التى لا يرتفع ادراكها الى درجة الشعور . والمرتبة التالية لتلك هى ذرات الحيوان ، ولها فوق الادراك ذاكرة ، ولكنها لا تسمو الى درجة العقل ، وادراكها شبيه بالاحلام الغامضة ، ثم تجيء الكائنات البشرية فوق تلك المرتبة ، وهى التى وهبت عقلا وشعورا بالذات . ويذكر ليبنتز ان الله تعالى هو اسمى هذه المراتب جميعا فبينما تراها تتفاوت فى ادراكها غموضا ووضوحا ، ترى ادراكاته سبحانه وتعالى واضحة كلها .

وليست هذه الذرات مطمئنة الى مراتبها راضية بمقامها ، بل تسعى كل واحدة سعيا متواصلا الى السمو والارتفاع نحو الكمال لاترضى به بديلا . فهى دائبة أبداً . لاتدخر وسعا لكى تحقق هذا الكمال الأسمى بانتقالها من مرتبة الى مرتبة حتى تصل الى هدفها المنشود ، وليس من شك فى أن ليبنتز كان بذلك القول بشيرا بمذهب داروين الذى لايعدو جوهره هذا التطور نحو السمو والكمال .

(تتمة المقال فى العدد الآتى)



ابن خلدون ومكيافيللى (١)

للأستاذ محمد عبد الله عنان

(تتمة)

١ — « ليس على الامير ان يجزع لما يناله من لوم على تلك الرذائل التى لايمكن دونها انقاذ الدولة الا بصعوبة ، ذلك أنه اذا بحث كل شيء بعناية ، الفينا ان شيئا يبدو كالفضيلة ، اذا اتبع فانه يؤدى الى خرابه (أى الأمير) ، والفينا شيئا آخر يبدو كالرذيلة ، اذا اتبع فانه مع ذلك يؤدى الى سلامه ورخائه »

٢ — « ليس اكثر تبديدا للمال من الجود والبذخ إذ سرعان ماتعجز عن مزاولتهما ، وتعدو اما فقيرا اومحتقرا ، اوتغدو اذا أردت ان تجتنب الفقر ، جشعا مكروها . ويجب على الامير ان يحرص قبل كل شيء على أن لا يكون محتقرا او مكروها . وإذن فخير ان يشتهر الأمير بالوضاعة التى تثير اللوم دون بغض من ان يرغم الانسان من طريق البحث عن الشهرة بالجود ، ان يوصم بالجشع الذى يثير اللوم والبغض

٣ — « كان بورجيا يعتبر قاسيا ، ومع ذلك فان قسوته ارضت رومانيا (من الولايات البابوية) ووحدتها ، وردت اليها السلام والولاء . ولو تأملت ذلك حق التأمل لرأيت انه كان اكثر رحمة من الشعب الفلورنسى ، الذى أراد أن يتجنب الشهرة بالقسوة فترك بستويا حتى خربت . واذن فمادام الأمير قادرا على الاحتفاظ لشعبه بالوحدة والولاء ، فليس عليه ان يهتم بوصمة القسوة لانه بذلك يكون اكثر رحمة من أولئك الذين يفرطون فى استعمال الرحمة ، فتثور القلاقل ، ويعقبها القتل والنهب »

٤ — «وهنا يبدو سؤال : أخير أن يحب الانسان من أن يرهب أو يرهب من أن يحب ؟ ويمكن أن نجيب بأنه من المرغوب ان يكون الانسان محبوبا مرهوبا ، ولكن مادام اجتماعهما فى شخص واحد غير ممكن ، فانه خير واكثر سلامة ان يرهب الانسان من أن يحب اذا وجب ان يتصف بأحدى الصفتين »

٥ — « لا يستطيع الأمير العاقل ولا يجب عليه أن يحفظ العهد اذا كان مثل هذا الوفاء قد ينقلب ضده ، واذا لم يبق للاسباب التى حملته على قطعه وجود »

٦ — « وإذن فليس من الضرورى أن يتصف الأمير بالخلال الحسنة التى ذكرتها ، ولكن من الضرورى أن يبدو كأنه يتصف بها . . . ولا يستطيع الأمير ، ولا سيما الامير الجديد ، أن يراعى كل الامور التى يقدر الناس من أجلها ، لأنه كثيرا ما يرغم ، لكى يحفظ الدولة ، على أن يتصرف بغير ما يقضى به الاخلاص ، والصداقة ، والانسانية ، والدين . وإذن فمن الضرورى أن يكون عقله متأهبا ليعمل طبقا لتقلب الريح والحظ »

٧ — وقال مشيرا الى سياسة ملك أسبانيا فرديناند الكاثوليكى ضد المسلمين عقب سقوط غرناطة : « إنه ينتحل الدين دائما عذرا للقيام بأعمال عظيمة ، وقد ثابر بقسوة صالحة على اخراج المسلمين من مملكته وتطهيرها منهم ، وليس ثمة أبدع من هذا العمل وأندر منه »(١)

نستطيع من هذه النماذج الموجزة أن نفهم روح الفلسفة المكيافيللية فى تصوير الدولة والأمير . وهى فلسفة تقوم على الحقائق العملية . وتحل هذه الحقائق على رغم جفائها وروعتها المكان الأول فى بناء الدولة ، وفى سياسة الأمير . فالنفاق والشح والوضاعة ، والقسوة والارهاب ، والغدر والنكث بالعهد . واهدار الاخلاص والصداقة والأمانة والدين ، وما اليها مما ينافى المثل الفاضلة وتأباه الاخلاق والانسانية ، ليس مما تنكره الفلسفة المكيافيللية ، ولا مما يشين السياسة التى تقوم عليها . ومن ثم كان الأمير أو السياسى الأمثل فى نظر مكيافيللى طاغية لجأ فى تأييد سلطانه الى أروع الوسائل وأشنعها مثل البابا اسكندر السادس ، وابنه شيزارى بورجيا (دوق فالنتينو) (٢) . ويتناول مكيافيللى طرفا من حياة شيزارى

«١» من كتابه «ابن خلدون» الذى يظهر هذا الأسبوع

«١» راجع الترجمة الانجليزية لكتاب الامير The Prince ص١٢٣ و١٣٠ و١٣٣ و١٣٤ و ١٤٢ و١٤٣ و ١٤٤ و١٧٨ (الطبعة المشار اليها)

«٢» البابا اسكندر السادس أو اسكندر بورجيا تولى البابوية من سنة ١٤٩٢ الى وفاته سنة ١٥٠٣ وابنه شيزارى طاغية رومانيا وبعض الولايات الايطالية الاخرى ولد سنة ١٤٧٦ وتوفى سنة ١٥٠٧ بعد خطوب وحوادث عظيمة ، واشتهر بالجرأة والغدر والقسوة الرائعة

بورجيا الذى عرفه واتصل به فى رسالة خاصة، ويبدى اعجابه بتلك الخطط والوسائل الدموية التى ابتدعها ودبرها شيزارى للبطش بخصومه من الامراء والقادة وقتلهم غدراً أو غيلة. ومن ثم كان ذلك الطابع الاسود الذى مايزال يدمغ « السياسة المكيافيللية » الى عصرنا. بيد أنه من الحق أن يقال ان المفكر الايطالى يبدى فى صوغ فلسفته كثيرا من القوة والبراعة وبعد النظر، وان هذه النظريات والمبادىء التى قد يحكم عليها من الوجهة النظرية الخالصة، كانت وما زالت على كر العصور قوام السياسات الظافرة، وما تزال الى يومنا عنوان السياسة العملية القوية.

(٢)

يتناول ابن خلدون كما قدمنا موضوع الدولة والملك بافاضة ويبحثه من نواح أوسع وابعد مدى، ويتفوق على مكيافيللى تفوقا عظيما فى معالجته من الناحية الاجتماعية. ويلتقى المفكران العظيمان فى مواطن كثيرة. مثال ذلك ما يقوله ابن خلدون فى فاتحة مقدمته عن قيمة التاريخ فى درس أحوال الأمم، ثم أقواله عن آثار البطش والسياسة العاسفة فى نفوس الشعب، وعن خلال الأمير وتطرفه أو توسطه فيها، وعن حماية الدولة وأعطيات الجند، وعن منافسة الأمير للرعية فى التجارة والكسب؛ وعن تطلع الأمير الى أموال الناس وأثر ذلك فى حقد الشعب عليه، وعن تطرق الخلل إلى الدولة وامتداد يد الجند الى أموال الرعية، وكذا ما يقوله عن كتبة (سكرتارية) السلطان (١) فهذه كلها نقط أو موضوعات يعالجها مكيافيللى أو يقترب منها سواء فى كتاب الأمير أو فى كتاب آخر له هو «تاريخ فلورنس» Istorie Fiorenitine تتخلله تأملات فلسفية واجتماعية كثيرة (٢). وقد لا يتفق مكيافيللى مع ابن خلدون دائما فى الرأى، أو فى منحى التفكير، ولكن كثيرا مما يقوله المفكر العربى يتردد صداه فيما يقول المفكر الايطالى. فابن خلدون هو بحق استاذ هذه الدراسة السياسية الاجتماعية التى تناول مكيافيللى بعده بنحو قرن بعض نواحيها؛ وهو بالأخص صاحب الفضل الأول فى فهم الظواهر الاجتماعية وفى فهم التاريخ وحوادثه وتعليلها، وترتيب القوانين الاجتماعية عليها بهذا الأسلوب العلمى الفائق

قال العلامه الاجتماعى جمبلوفتش: « إن فضل السبق يرجع بحق الى العلامة الاجتماعى العربى (ابن خلدون) فيما يتعلق بهذه النصائح التى أسداها مكيافيللى بعد ذلك بقرن إلى الحكام فى كتابه « الأمير ». وحتى فى هذه الطريقة الجافة لبحث المسائل، وفى صبغتها الواقعية الخشنة، كان من المستطاع أن يكون ابن خلدون نموذجاً للايطالى البارع الذى لم يعرفه بلا ريب»(٣) وقال استفانو كلوزيو مقارناً ابن خلدون بمكيافيللى؛ « اذا كان الفلورنسى العظيم (مكيافيللى) يعلمنا وسائل حكم الناس، فانه يفعل ذلك كسياسى بعيد النظر، ولكن العلامة التونسى (ابن خلدون) استطاع أن ينفذ إلى الظواهر الاجتماعية كاقتصادى وفيلسوف راسخ، مما يحمل بحق على أن نرى فى أثره من سمو النظر ومن النزعة النقدية ما لم يعرفه عصره (٤) »

وقد نتساءل أخيرا، هل وقف المفكر الايطالى على شىء من تراث ابن خلدون واسترشد به، أم وقف على شىء من آثار المفكرين المسلمين قبله فى موضوع السياسة الملكية وانتفع بها؟ نعتقد مع العلامة جمبلوفتش أن مكيا فيللى لم يعرف حين كتابة « الامير » شيئا عن ابن خلدون أو عن آثاره، ولم يعرف من جهة اخرى شيئا من آثار المفكرين المسلمين فى موضوعه. صحيح أن بعض نواحى التفكير الاسلامى كانت معروفة فى أيطاليا قبل مكيافيللى وفى عصره، وكانت ثمة علائق فكرية قديمة بين مسلمى الاندلس وشمال افريقية، وبين المجتمعات الفكرية فى أيطاليا، وكانت آثار اسلامية كثيرة قد ترجمت يومئذ الى اللاتينية. ولكنا لا نلمح فى أثر مكيا فيللى شيئا يدل على أنه عرف ابن خلدون أو أى مفكر مسلم فى موضوعه. واذا كانت ثمة وجوه شبه كثيرة بين المفكرين من حيث فهم التاريخ وتحليله، واستقراء الحوادث، وترتيب القوانين الاجتماعية، فذلك يرجع كما قدمنا الى تقارب عظيم بين الذهنين، والى تماثل فى العصر والظروف التى عاش فيها كل منهما، والى تماثل فى الخبرة السياسية التى اكتسبها كل منهما بخوض حوادث عصره والاتصال بأمرائه وساسته. وربما يكون مكيا فيللى قد عرف شيئا عن ابن خلدون ومقدمته فى أواخر حياته بعد أن وضع كتاب « الأمير » بنحو عشرة أعوام اعنى حوالى سنة ١٥٢٣ أو ١٥٢٤. ففى ذلك الحين كان الكاتب الأندلسى المتنصر الحسن بن محمد الوزان المعروف باسم ليون الافريقى Leo Africanus يقيم فى رومة ويتجول فى المدن الايطالية الشمالية وهو غرناطى ولد حوالى سنة ١٤٩٥ م. ونشأ فى فاس وتولى لبلاطها بعض المهام السياسية، ثم حج الى مكة سنة ١٥١٦، وعاد بطريق قسطنطينية،

---

(١) راجع المقدمة ص ٧ و ١٥٧ و ١٥٨ و ٢٣٥ و ٢٣٩ و ٢٤٨ و ٢٠٥ و ١٤١

(٢) قارن ما كتبه مكيافيللى فى موضوعات مماثلة فى كتاب الامير The Prince ص ٩٨ و ١٠٨ و ١١٨ و ١٢٦ و ١٣٥ و ١٤٩ و ١٨٣ وغيرها

(٣) Gumplowicz: un Sociologiste Arabeau XIV ieme Siècle aperçus Sociologiques P.217

(٤) S. Closio: Introduction à l'étude d'Ibn Kaldoun [Rev-du Monde musulman«1914. p. 319]

وفى أثناء ركوبه البحر الى المغرب اسرته عصابة من لصوص البحر الصقليين ، فاخذ الى رومه حيث نصره البابا باسم « يوهانس ليو » أو يوحنا الاسد . وفى رومه انقطع للبحث والتأليف ، والف قاموسا عربيا لاتينيا ، والف كتابه الشهير فى وصف افريقية وترجمه بعد ذلك الى الايطالية . وكان فى مدينة بولونيا بشمال ايطاليا على مقربة من فلورنس سنة ١٥٢٤ حسبما يقرر فى خاتمة قاموسه اللاتينى ، الذى توجد منه نسخة فى الاسكوريال (١) . ومن الممكن بل لعله من المرجح أن يكون ابن الوزان قد التقى بمكيافيللى وعرفه فى رومه باعتباره علما من اعلام التفكير والكتابة يومئذ . وكان مكيافيللى بالفعل فى رومه سنة ١٥٢٥ ، قصدها ليرفع كتابه « تاريخ فلورنس » الى صديقه وحاميه البابا كليمنضوس السابع (جوليانو دى مديتشى) ولو صح هذا اللقاء والتعارف ، لكان ثمة مجال للقول بان مكيافيللى قد وقف على شىء من آثار التفكير الاسلامى التى لابد أن يكون ابن الوزان قد أذاعها وتحدث عنها بين اصدقائه الايطاليين ، ومن المرجح أن يكون ابن خلدون فى مقدمة المفكرين المسلمين الذين يشملهم مثل هذا الحديث ، لاسيما وقد كان صيته ما يزال قويا ذائعا فى أفريقية والمغرب حيث نشأ ابن الوزان ودرس . على أنه مهما كان من شأن هذه الفروض ، فلسنا نستطيع أن نقول أن مكيافيللى قد انتفع فى صوغ فلسفته السياسية والاجتماعية بشىء من آثار التفكير الاسلامى ، فلسنا نلمح فى كتابه أثراً لهذا التفكير ، ومكيافيللى ذهن مبتدع مبتكر بلا ريب ، كما كان ابن خلدون ذهنا مبتكراً مبتدعا . وقد شق كلا المفكرين العظيمين طريقه لنفسه ، وألهم وحى نفسه ، وكان كتاب «الأمير» فتحاً عظيما فى تفكير عصر الأحياء الاوربى ، كما كانت مقدمة ابن خلدون فتحا عظيما فى التفكير الاسلامى

(١) راجع معجم المكتبة العزية الاسلامية فى الاسكوريال Casiri : Bibliotheca Arabico - Hispana Escurialensir I. p. 172 ففيه تنقل هذه الخاتمة

مِنْ طرائفِ الشِّعرِ

مداعبة شوقية لم تنشر

براغيث الدكتور محجوب

براغيثُ محجوبَ لم أنسها ... ولم أنس ما طَعِمتْ من دمى
تشقُّ خراطيمُها جَوْربى ... وتنفذ فى اللحم والاعظُم
وكنتُ اذا الصيف راح احتجمتُ ... فجاء الخريف فلم أُحجم
ترحِّب بالضيف فوق الطريق ... فباب العيادة فالسلم
قد انتشرتْ جوقة « جوقة » ... كما رُشّت الارض بالسمسم
وترقص رقص المواسى الحدادِ ... على الجلد والعَلَق الاسحم
بواكير تطلع قبل الشتاء ... وترفع ألوية الموسم
اذا ما ابن سينا رمى بَلْغَماً ... رأيت البراغيث فى البلغم
وتُبصرها حول «بيبا» الرئيس ... وفى شاربيه وحول الفم
وبين حفائر أسنانه ... مع السوس فى طلب المطعم

العود

وصف دقيق ممتع للشاعر العالم الاستاذ أحمد الزين

لامستْ فى النفس أوتارَ هواها ... غادة بالسحر تغزو من غزاها
كلما مست يداها وتراً ... حسد الآخر ما مست يداها
تمنح الأوتار كفا رخصة ... أشجت الأوتار من قبل شجاها
ويكاد العود يدمى كفها ... قُبَلا لو أن للعود شفاها
لحنها يبعث فى ميت المنى ... نضرة العهد ومعسول صباها
خفقات يخفق القلب لها ... هى أنات فؤادى أو صداها
وحنين كاد من رقته ... أن يذيب اللحن فى العود مياها
وشجون طالما أخفيتها ... نفذ العود اليها فحكاها
واستشف النفس عن أسرارها ... لم يدع خافية إلا جلاها
صوّر اللوعة فى مكمنها ... كيف تخبو ثم يشتد لظاها
ودبيب الحب فى أوله ... والجوى ملتهبا حين تناهى

وفناء النفس فى من هويت ... وترى كل وجود فى فناها
وشقاء الحب فى نعمته ... ونعيم النفس فيه بشقاها
ورضا العشاق من أحبابهم ... بالتفات أو خيال فى كراها
كل هذا نطق العود به ... وتناجى هو والنفس شفاها
لغــة الأوتار فى عجمتها ... تقصر الألسن عن دركْ مداها
تسعد المحزون فى حرقته ... وتواسى داءه إن قال آها
ألهم العود بكاء المشتكى ... ملهمُ الطير على الأيك بكاها
تحسب الأوتار فاضت أدمعا ... وتباريح الجوى أوهت قواها
يالها من ناحلات أنحلت ... من جسوم لاعج الشوق براها
وضعيفات وفيها قوة ... تصرع الأسد فلا تحمى حماها
جل من يبعث فى الضعف قوى ... أخضعت من بقواه يتباهى
كلما شدَّت على أطرافها ... أمعنت فى النفس بالسحر خطاها
لا تسل سمعىَ عن ألحانها ... سبق القلب اليها فوعاها

قبـــلة !

للشاعر المهندس على محمود طه

قبـــلةٌ من ثغرك البا ... سم دنيا وحيـــاةُ !!
تلتـــقى الروحانِ فيها ... والمنى والصَّـــبَواتُ
لغةٌ وُحِّـدتِ الأل ... سنُ فيهـــا واللغاتُ
وَحيُهـا الحبُّ وما تل ... همُ تلك النظراتُ

لغةٌ دان الشتيت الش ... مل فيها وتـــلاءم !
وبها الأرواحُ فى غي ... ر لجاج تتفـــاهم
مَنْ ترُى علَّمها بالأم ... س حوَّاء وآدم
لم تزُلْ جِـدَّتُها ... وهى حديثٌ يتقادم !

قبـــلةٌ من ثغرك البا ... سم تَنْـدَى شـــفتاهُ
من رحيقٍ لم يُحَرِّمْ ... هُ على النـــاس الالهُ
كلمـا أُترعَ منها ال ... قلبُ ضجَّتْ رئتاهُ
مستزيداً وهى إن عُلَّ ... بها زادَ صـــداهُ !

قبـــلة من ثغرك البا ... سم تمحو كلَّ ما بى !
وتُوارينى عن النا ... سِ وعن دُنيا العذاب
وتُنَسِّى القلبَ ما جُرِّ ... عَ من سُمٍّ وصاب
قبـــلةٌ تمزجُ أنفا ... سَكَ بالقلب المذاب !

رُبَّ ليـــلٍ مَرَّ أفنيـ ... ـناهُ ضمًّا وعنـــاقا
وأدرنا من حديثِ الـ ... حبِّ خمراً نتســـاقى
فى طريق ضَرَبَ الزهْـ ... ـرُ حواليـــه نِطاقا
وتجلَّى البـــدرُ فيه ... وصـــفَا الجوُّ وراقا

ولزمنا الصمتَ إلاَّ ... بعيونٍ تتكلمْ
وشفاهٍ عن جراح الـ ... قلبِ راحتْ تتبسمْ
صِحْتَ بى رُعْباً وما ... راعك قلبٌ يتحطمْ
نبَّـــأتنى النفسُ بالبيْـ ... ـن غداً ! والنفس تُلْهَمْ

ثم كانَ الغَدُ ما نبَّأ ... تَ هجـــراً وفراقا
ونسينا قبـــلةً سـا ... غَتْ من الأمس مذاقا
غير أنات صحا القلـ ... بُ عليهـــا وأفاقا
فالتقينـــاً وافـترقنا ... وكأنْ لمْ نتلاقا !!

عـــزلة !

« ... والعزلة مملكة الافكار »
« شاتوبريان »

للشاعر الدمشقى أنور العطار

وعزُلةٍ بَرَّةِ الأفياءِ ساجيةٍ ... رفَّافةِ الحُلْمِ تُنثى كلَّ أتراحى
طويتُ فى صمتها قلباً شجيتُ به ... واعتضْتُ عنه بقلبٍ جدِّ مفراح
يَلقىْ أخو الهم فى أظلال دارتها ... كوناً بكونٍ وأرواحاً بأرواح
تَغيمُ روحىَ إما ثار هاجسُها ... فى لامعٍ مثل قرص الشمس مُنْداح
غَيبوبةٌ مُلؤها الاحسان شاملة ... غسيلة بِشَذًى كالعطر نفَّاح
أصوغُ فيها أناشيدى وأجمعُها ... من عابقٍ دائم الأطياب مسماح

يافرحَةَ الرُّوح ! تحدُوها غيَابتها ... إلى مطافٍ خصيب الوحى فياح
تنسى به حزَّةً فى القلب مُوجعةً ... مشطورةً من أسى كالهمِّ ملحاح

كغصة ثرّة التعذيب جاهدة فى صدر طفل منيع الورد ملتاح
فأن يقتر عليها الحظ حصتها تظفر بحبٍّ وإيناس وإسجاح
هناءة العمر ما انساغت مناهلها إلا لقلبٍ غنيِّ البِشْرِ ، ممراح
مفضّض الحُلْمِ مغمورِ الشِّعابِ هوى
أنقى من النُّورِ فى أعطافِ إصباحِ
فاطربْ ولذَّ وطِرْ نشوانَ من فرحٍ
فى عالمٍ خيِّرِ الالهامِ منّاح
وأغنَمْ سوانح دهرٍ ، غير وانيةٍ من قبل يوم عصىٍّ البرءِ لواح
ومرْقبٍ فى كفافِ الأفقِ منفردٍ كأنه كهفُ نَسْرٍ جدِّ طماح
أسرى إليه خيالى غير مكترثٍ لهيكل راجف الأركان طلاح
فعبَّ منه نقيَّ الوحى فانبجستْ أمواهُهُ من معينٍ غير ضحضاح
كأنما ظلَّ يهمى فوق صفحتِه
شؤبوبُ غيثٍ هتونِ السّكبِ سحاح
وروضةٍ حليتها العين وانبسطت فى ظلِّ واد أنيق الوشْيِ رحراح
أنشأت كوخاً على غدرانها بهجاً موشَّحاً بتعاشيبٍ وأوضاح
من كل نَوارةٍ ضحاكةٍ جذلا وكلِّ زهرٍ نطوف النشر ، فواح
وافيتها والمساءُ الرحبُ تغمرنى ظلالُهُ بخيالات وأشباح
سجا الأصيل وقد رفت لآلئُهُ على إطارٍ بهيِّ اللمح وضاح
وصفّقتْ مائساتُ الدَّوح يؤنسها
ضحك الجداول من تلعات أرواح
كأن سرباً من الأطيار يطربنى تنغيمه بنشيدٍ جدِّ مصداح
والشمس خابية الأضواءِ ، تنشرُها
عجلى وتجمعها فى ركبها الواحى
غابَتْ وأبقتْ على الآفاق أصبغة
من رسم أروع سامى الصوغ وشّاح
هذا المساء تجلّى فى محفّته نهلان من صور كثر وألواح
يزينه شفقٌ حالٍ بأوشحة من مائج غائم الأرجاء طفّاح
مابين خابٍ نؤوم ظله ، كمد وبين ضاح لعوب النور لماح
ترى تطيف به فى حلمه ذِكَرٌ ترف حيناً ويمحو رفها ماح ؟
ليت الزمان مساءٌ ملؤه صورٌ علوية الصنع موشيات أفراح !
أطوف فيه بروح كلها لهف حوامةٍ فوق جنات وأدواح
حتى أعيد أمانىَّ التى غبرت
والدهرُ عنْ مأملى سهوان أو صاح !

فى الزورق

لست بناس ليلةً قضيَّتها فى زورقِ
البدرُ فيها ماسةٌ باهرة التألق
والنيل فى مضجعهِ كغادة فى جوسق
ينصت فى غفوته الى حديث الشيق
وللحبيب شَعَرٌ يموج كالاستبرق
يلمسه النسيمُ لمـ س المستهام المشفق
دارت أحاديثِ الهوى مثل الطلا المعتق
ثم افترقنا غلساً وبعدها لم نلتق . .

كرمة ابن هانى حسين شوقى

إعلان من الادارة

الاشتراك من الآن يكون على النظام الجديد، ولا يجاب طلبه الا مصحوبا بالقيمة . أما المشتركون القدماء فسنستمر على ارسال المجلة اليهم حتى آخر السنة الاولى



جحا فى الادب الفارسى

للدكتور عبد الوهاب عزام

قال فى لسان العرب: « وجحا اسم رجل » وقال في القاموس: « وجحا لقب أبى الغصن دجين بن ثابت » وقال شمس الدين بك فى قاموس الاعلام: « هو من قبيلة فزارة، يضرب به المثل فى الحمق، وكان فى الكوفة إبان ثورة أبى مسلم الخراسانى. وجحا الرومى كناية عن خواجة نصر الدين » .

وقد ذكر ابن النديم في الفهرست كتاب نوادر جحا .

وأما جحا الرومى أو خواجه نصر الدين فيروى أنه كان معاصر حاجى بكتاش، ويقال إنه عاش في عصر السلاجقة (١) . وتحكى عنه نوادر كثيرة فى التركية كنوادر جحا فى العربية . وفى جوار آقشهر مكان غير مسور وله باب عليه قفل كبير يقال انه قبر نصر الدين .

وقد شاعت نوادر جحا في مصر وأفريقيا الشمالية كلها كما شاعت نوادر نصر الدين فى تركيا . ونقلت نوادر الرجلين الى شرق أوربا وجنوبيها . فى صقلية وبلاد أخرى حرف اسم جحا إلى جوفا Guifa أو Giucca . وفي بلاد اليونان والصرب ورومانيا حرف اسم نصر الدين خواجه الى Nastratin Hagea

ولا حاجة الى الكلام عن نوادر جحا ونصر الدين خواجه فى العربية والتركية فهى معروفة ومطبوعة في مصر .

بعض هذه النوادر مروى في الادب الفارسى فى لطائف عبيد الزاكانى الشاعر المعروف، ولكنها لا تنسب إلى جحا، ولا يستطيع من يعرف الزاكانى ولطائفه أن يذكر اسمه دون أن يمتع القارىء ببعض حكاياته :

ذهب رجل من قزوين فى جيش لغزو جماعة من الاسماعيلية وكان مع الرجل ترس كبير . فلما قارب قلاع العدو أصاب رأسه حجر فغضب وانصرف . فقال بعض أصحابه : ما خطبك؟ قال يا أخى أنا لا أحارب قوما عميا . كيف يرمون رأسي بالحجر وفى يدى هـذا الترس الكبير ؟!

وأخرى من لطائف الزاكانى: أن رجلا شاهد آخر يؤذن وهو يجرى. قال: ما شأنك؟ قال: يا أخى إن الناس يزعمون أن صوتى حسن حين يسمع من بعيد . فأردت أن أخبر ذلك بنفسي

وقد ذكر جحا فى شعر الانوري باسم جحي (بكسر الحاء) :

أز حسد فتح تو خصم تو بى كرداسب
همجو جحى كز خدوك جرخه ما در شكست

« ان خصمك عرقب فرسه غيظا من انتصارك مثل جحى الذى كسر مغزل أمه من الغضب » وذلك أن جحا قص على جلسائه نادرة فلم يضحكوا لها فذهب إلى داره مغضبا فكسر مغزل أمه .

وذكر جحا فى مثنوى مولانا جلال الدين باسم جوحى وذلك فى ثلاث نوادر

الاولى فى الدفتر الثانى من الكتاب :

مشى صبى فى جنازة والده يبكي ويضرب رأسه ويصيح : يا أبت إلى أين تحمل ! أتوضع تحت الثرى ! انك تحمل إلى دار ضيقة مقفرة ليس فيها سجادة ولا حصير، ولا سراج بالليل ولا خبز بالنهار، ولا فيها أثر من الطعام ولا رائحة، ولا سقف ولا باب ولا جار مؤنس . كيف بعينيك في دار مظلمة خربة، وقد كانتا مقبل الناس ؟ دار مخوفة ومكان ضيق لا يبقى على وجه ولا نضرة .

وظل يعدد أوصاف الدار على هذا النسق، ويذرف من عينه دمعا قانيا . فقال جوحى لابيه : أيها الأريب ! والله إن هذا الميت ليحمل إلى دارنا . قال أبوه: لا تكن أبله . قال يا أبت استمع الى أوصاف الدار. انها لاريب صفات دارنا : لا حصير بها، ولا سراج، ولا طعام، ولا فناء، ولا سطح، ولا باب !

النادرة الثانية فى الدفتر الخامس من المثنوى فيقرأها فيه من يعرف الفارسية فليس يجمل أن تذكر هنا .

وخلاصة الثالثة : أن جحا ألح عليه الفقر فأوعز الى امرأته أن

(١) ويروى كذلك انه عاش فى عهد تيمورلنك وكان بينهما بعض النوادر

تشكوه الى القاضى وتستدرجه الى بيتها. فرفعت أمرها الى القاضى وأفاضت فى بيان ظلامتها. ثم سألت القاضي أن يزورها فى دارها لتحدثه فى أمرها. وجاء القاضى الى الدار فجاء زوجها فأظهرت الخوف وهولت على القاضى الامر حتى أختبأ فى صندوق. ويدخل جحا فيقول قد عزمت على إحراق هذا الصندوق فان الناس يحسبونه مملوءا ذهبا، سأخرجه غداً فأحرقه على أعين الناس. ولما أصبح دعا حمالا فحمله الصندوق وسار وراءه. فنادى القاضى الحمال؛ والحمال لايدرى من أين يسمع الصوت حتى عرف أنه صوت رجل فى الصندوق، فسأله القاضى أن يرسل الى وكيله ليشترى الصندوق. وجاء الوكيل فسأل عن الثمن. قال جحا: الف دينار فلما تردد الوكيل عرض جحا أن يفتح له الصندوق ليعلم أنه جدير بهذا الثمن. وانتهيا الى الاتفاق على مائة دينار فنقدها الوكيل وأخذ الصندوق. وبعد سنة احتاج جحا الى المال مرة أخرى فأوحى الى زوجه أن تعيد الحيلة مع القاضى فذهبت ترفع اليه ظلامتها من زوجها، ووكلت امرأة أخرى في الكلام حتى لا يعرف صوتها، فأمرها القاضى أن تحضر المدعى عليه، فلما جاء جحا قال القاضى: لماذا لا تنفق على امرأتك مايكفيها. قال إنى فقير لا أملك حتى ثمن الكفن إن حضرنى الموت. وأن لعب النرد أوقعنى في هذا الفقر. فقال القاضى، وقد عرفه: نعم قد لعبت معى عام أول فربحت، وهذه نوبتى فى الربح. فان شئت فالعب مع من تشاء ودع اللعب معي.

وقد أثبت جلال الدين هذه النوادر فى شرح آرائه الصوفية والاخلاقية كدأبه فى ضرب الامثال والذهاب بقارئه كل مذهب

فى جامع الحكايات لحبيب الله الكاشانى، الحكايات الثلاث التى فى المثنوى، وأربع أخرى من نوادر جحا. أترجم منها واحدة:

جاء جحا يوما الى شاطىء دجلة فرأي بعض العميان يريدون أن يعبروا النهر. فقال ماذا تجعلون لى إن ابلغتكم الشاطىء الآخر: قالوا: يعطيك كل منا عشر جوزات، قال: ليمسك كل منكم بحزام الآخر، وليمسك أولكم بيدى. فلما توسطوا النهر اشتد التيار فذهب بواحد منهم. فصاحوا: ذهب أحدنا ياجحا! قال الآن خسرت عشر جوزات! ثم ذهب التيار بآخر فصاحوا جزعين: وآخر ذهب به الماء! قال يا ويلتا ذهب من يدى عشرون جوزة! وذهب الماء بالثالث فصاحوا: سنغرق جميعا: قال جحا: وما يعنيكم أيها الحمقى! إنما الخسارة على! انا الذى أخسر بكل غريق منكم عشر جوزات.

وأخرى من نوادر جوحي فى الباب الثالث من كتاب بهارستان لعبد الرحمن الجامى:

كان لرجل علي جوحى مائة درهم، فرفع الامر الى القاضي فسأله ألك شاهد؟ قال: لا. قال القاضى لجحا فاحلف له. قال المدعى أنه لا يبالى باليمين. فقال جوحى: ياقاضي المسلمين: ان لم يثق بيمينى ففى مسجدنا إمام تقى صادق القول حسن السيرة فابعث اليه وحلفه مكانى ليطمئن هذا المدعى!

عبدالوهاب عزام



آراء وأنبـــاء

للدكتور احمد زكى

المزاج التجريبى :

جمعتنى المصـــادفة فى بلد ناء بخبير فى اللاسلك أجنبى ، وفى إبان المجلس عرض عليه موظف مصرى كبير مشروع نظام للاذاعة اللاسلكية براد اتباعه فى مصر حينما تتم المحطة المصرية الموعودة فى يناير القادم . وكان المشروع طويلا عريضا كثير التفاصيل دقيق الأجزاء كثير الفروض ، كثير الردود ، معجبا فى انسجامه ، مقنعا فى تلاوته ، ولا شك ان كاتبه استغرق فى مكتبه ساعات عديدة لتدبيره ، واستهلك كثيرا من الورق والحبر قبل الانتهاء على صيغته الاخيرة . ولما فرغ صاحبنا المصرى من عرضه سأل الخبير رأيه فيه وعن القدر الذى يتاح له من النجاح ، فسكت الخبير هنيهة ثم قال : ابدأوا بعشر هذا فستجدون أن معالجة هذا العشر الاول سترسم لكم الطريق الى معالجة التسعة الاعشار الباقية . لا ادرى ان كان خبيرنا المذكور تثقف بثقافة علمية خاصة ولكن الذى أدريه أن عقليته لا شك علميه ورأيه الذى ارتآه صدر عن نفسية مزاجها تجريبى ، والمزاج التجريبى وليد المران العلمى ؟ فالعـــالم يتشكك فى كل ما ينتج عن الفكرة الخالصة وعن نشاط الفكر البحت الذى لا يتعدى حدود الجمجمة . والعالم الحديث كالسفسطائى القديم فى فقدانه الثقة بالمنطق الصرف باعتباره اداة كافية لكشف الحقيقة . والعالم الحديث يبالى بالنتيجة العملية أولا فان فسرتها النظرية فقد حصل توافق محمود ، وان كان خصام فالنظرية مخصومة مرفوضة . وكثيرا ما تجد هذا المزاج التجريبى فى رجال ليس العلم صناعة لهم ، فتجده فى التجار وأرباب الصناعة وفى الساسة ، وقد يكون طابعا خاصا فى أمة ، وقد وجدته فى الأمة الانجليزية طابعا لها ، لاسيما فى رجال تثقفوا بثقافة خاصة كثقافة كمبردج أو اكسفورد ، والخبير الاجنبى المذكور من هؤلاء . ولو انك عرضت هذا المشروع اللاسلكى المنمق على مصرى ذى ثقافة قاهرية لكان سريعا الى نقده ونقاشه بكل ماوهب من مزاج نظرى ومقدرة فائقة فى التخريج المنطقى ، ولحسب بعد الفراغ انه أتى بنتاج صائب لا يأتيه الباطل من أى جوانبه ، اذا هو طبق ونفذ فلن تجرؤ قوانين الطبيعة ولا سنن المجتمع أن تعترضه أو تخالفه . ولقد لبسنا معشر المصريين هذا المزاج النظرى ضيقا لصق أجسامنا حتى ليصعب علينا خلعه ، حتى بعض اللذين تدربوا منا تدربا علميا خاصا يميل بهم هذا المزاج حيناً فينسون التجربة وخطرها فى أمور العلم وأمور الحياة . قص لى صديق عالم مصرى أختصه الله من بين العلماء بنعمة الثراء لسر لا يعلمه سواه ، فكانت له أرض واسعة مرضت فأتعبه تسميدها فذهب الى خبير مصرى عالم فى السماد فسأله رأيه ، وبعد أخذ ورد وفحص وصف له الدواء ، فذهب صديقنا الى أرضه بسن ضاحك ورجاء وافر ، ولكنه بعد فترة التجربة عاد الى صاحبه السمّاد بوجه كاشر وأمل خائب ، فسأله أعندك أرض ، قال لا ، قال نصيحتى للدولة أن تفصل من خدمتها كل سمّاد لا أرض له ثم تولّى . فقلت لصاحبى لقد كان أقرب الى الانصاف وأدنى الى الاحسان أن تتمنى على الدولة أن تهب أرضا لكل سمّاد لا أرض له . فنسى صاحبى الأرض وابتسم راضيا عن هذا الحل الموفق

سفينة فى معمل :

والحق أن هناك وجها قد يخفى حتى على من يقضون أصباحهم وأمساءهم فى المعامل ، فان تجربة المعمل محدودة وأوجه الشبه التى بينها وبين ظاهرة طبيعية تحدث فى العراء

الواسع قد تكون قليلة مبتورة ، فقد تكون فى تجربة المعمل صفات مُنجحة لا تكون فى الطبيعة ، وقد تكون فيها صفات مخيبة ليست فى الطبيعة ، وقد يكون فى الطبيعة ما ليس فى تجربة المعمل ، وليس من الهين كل حين ادراك هذه الفروق فى الصفات ولا سيما فى شئون الحياة ومناطق العرفان التى لا يزال العلم يمشى فيها بخطى محذورة ثقيلة ، مستهديا فى حُلكتها الكثيفة بفتيل ضئيل من زيت قنديل . وكثيرا ما أدرك العلماء هذه الحقيقة ادراكا قويا خرج بهم عن حدود المعمل المعروفة وعن طرائقه المألوفة . مثال ذلك ان التفاح من اكثر الفواكه عبرا للمحيطات ، وأطولها سفرا واكثرها اختلافا بين مناطق الارض الباردة والحارة . فكانت تتلف منه فى تلك الاسفار مقادير هائلة ، ففحصوا أسباب هذا التلف فاهتدوا الى أن من أسبابه الحرارة التى تكون فى قاع السفينة ولا سيما فى الاقطار الاستوائية ، فكان من ذلك ان أودعوه مخازن بالسفينة تبرد تبريدا صناعيا طول السفرة . ثم ارتأوا بعد ذلك ان الهواء المحبوس سبب قوى فى الفساد الحادث ، وان التفاحة تحيا خلاياها وتموت ، فهى مثلى ومثلك فى حاجة الى الاكسيجين النقى لتبقى حية صالحة ، وكذلك فى حاجة الى شىء من الضياء . فهدوا للتفاح المسافر وسائل الحياة والترف احتفاظا بحيويته ، فنقص مقدار العادم الى نسبة قليلة هى خمسة فى المائة . ولكن التفاح تبلغ التصديرة الواحدة منه ثلاثة الملايين من الصناديق . فالخسارة فى هذه وحدها تبلغ مائة وخمسين ألف صندوق . من اجل هذا اعتزم معهد الابحاث بـ«إيست مالنج» East Malling بمقاطعة «كنت» بانجلترا ان يقوم بدراسة حاسمة لا هوادة فيها لخلاص تلك البقية الباقية من العدم . «وايست مالنج» محطة لبحث النبات عالمية لها معامل واسعة تبلغ المائة من الفدادين ، ولها فى تربية النبات وانتقاء جذور الاشجار ولا سيما أشجار الفواكه سمعة واسعة ، وهى فوق ذلك غنيـة قادرة ، فارادت ان تلم بكل الظروف المحيطة بالتفاح أثناء سفره ، فابتنت فى معاملها ما يشبه السفينة ، وأقامت فيها كل ما يقوم فى السفينة ، وجهزتها بجهاز يزيد فى حرارتها أو ينقصها حسب المراد ، وأتت بحمولة التفاح فأودعتها عنبر «السفينة» وأودعت بين صناديق «البضاعة المسافرة» مائتى وخمسين ترمومترا لرصد الحرارة ، وبما أن العنبر سيظل مغلقا طيلة «السفرة» فقد وصلوا الترمومترات باسلاك كهربائية ليستطيعوا رصد الحرارة من بعيد وبخاصة اذا هاج «البحر» ، نعم اذا هاج البحر فانهم أحاطوا السفينة بأكياس منفوخة بالهواء تعوم فيها عومها فى الماء ، وأقاموا على الأكياس آلات دافعات جاذبات تحرك السفينة مثل حركتها بين الأمواج المصطخبة والرياح العاصفة ، أو من أثر التيارات الخبيثة تحت سطح البحر الهادى . وكل هذا الجهد وكل تلك النفقة حرصا على أن تمثل تجربةُ المعمل تجربةَ المحيط بحذافيرها وحتى لا يفلت حذفور غير منظور قد يكون له خطره فى النتيجة الحاصلة . ولا يزال القوامون على هذه التجربة قائمين فيها ، صكوا أبواب العنبر على التفاح وتدرجوا فى رفع حرارته وبذلوا له الهواء الى غير ذلك من أمور ، وأهاجوا عليه «البحر» حينا وهدأوه حينا ، وستصل البضاعة فى يناير القادم الى غايتها ، وعندئذ يفتح العنبر وتمتحن البضاعة . ثم تشحن السفينة بضاعة جديدة وترحّل رحلة جديدة تحت ظروف جديدة ، وهكذا حتى يصل التفاح الى مقره الأخير سليما كله من كل عطب ، وعندئذ تتعين الشرائط التى لا بد منها لسلامته ، وعندئذ يُهدم هذا الهيكل الكبير ويباع حطاما رخيصا وسلعة بائرة بعد أن يكون قد أكسب الانسان سرا من أسرار الطبيعة قد يكون فى ذاته هيّنا فى العلم ، الا أنه فى الاقتصاد خطير ، فهو يردّ الى الانسانية على مر السنين ملايين الجنيهات ، وهذه بدورها تمثل طاقة انسانيـة تنفق فى الزرع والجنى وتعهد النبات ، وطاقة أخرى طبيعية مما بذلته الأرض من عناصرها والهواء من غازه والشمس من أشعتها ، طاقات يعزّ على العلم والعلماء أن يروها تهدر هكذا كاللبن الصبيب والدم المسكوب

روعة فى البرتغال

فى ليلة اليوم التاسع من اكتوبر فى بلاد البرتغال تساقطت من السماء السوداء رجوم بيضاء بلغت الملايين فروّعت الناس كأنهم حسبوا أن عقود السماء انفرطت فأخذت النجوم تهوى

بغير حساب . وهذه ظاهرة كانت منتظرة فى هذا العام الذى نحن فيه وقد تتكرر الى ختام العام .



منظر الشهب

أما سببها فالمذنَّب المعروف بمذنب «تمبل» Tempel وهو من مذنبات أسرة الكوكب السيار «أورانوس» Uranus . وهذا المذنب يطوف حول الشمس فى مسار بيضاوى متطاول يقطعه فى ثلث قرن، وبما أنه لا يطوف فى دائرة نجده فى ساعة ما من سنة ما فى موضع أقرب ما يكون من الشمس، ثم نجده بعد هذه الساعة بسدس قرن قد حل أبعد مواضعه منها . ثم ينصرم سدس قرن فاذا به فى موضعه الأول الأدنى من الشمس ، أعنى الأدنى من الأرض ، فهو باقترابه من الشمس يقترب منا ، وهو كالمذنبات يجر وراءه ذيلا من غاز وتراب وأجسام صلبة منها الكبير ومنها الصغير . والمذنب وذنبه يسيران فى الفضاء بسرعة هائلة . فاذا مس هذا الذنب بمادته هواء أرضنا بتلك السرعة المروعة احتك به فاحترق فتكونت من ذلك الشهب التى نراها . وقد ادرك هذا المذنب الأرض ورأى الرقباء شهبه فى أكتوبر أو نوفمبر من اعوام ٩٠٢ و٩٣٤ و١٠٠٢ و ١١٠١ و ١٢٠٢ و ١٣٦٦ و١٥٣٣ و ١٦٠٢ و ١٦٩٨ و ١٧٩٩ و ١٨٣٣ و١٨٦٦ و ١٩٠١ . وتجد بامتحان تلك الارقام أن الفترات بلغت ثلث قرن أو ثلثين أو قرناً بتمامه ، وقد فات الرقباء لا شك ظهورُ هذا المذنب فى السنوات الساقطة من سلسلة السنوات المذكورة . أو لعل الأصح أن نقول أن الذى فاتهم انما هو رؤية الشهب التى تظهر عنه فتدل عليه ، فالمذنب نفسه صغير لا تراه العين اكتشفه مكتشفه بالتلسكوب عام ١٨٦٦ ، وعندئذ ، وعندئذ فقط ، دُرس هذا المذنب ودرست دورته ودرس زمنها وانكشفت العلاقة بينه وبين شهب سجّل التاريخ حدوثها فى الأزمان الخوالى . ومنذ حل عام ١٩٣٠ والعلماء فى ارتقاب الرسول الوافد ، رسول العلم ، رسول الايمان فى حسابات الرياضة وقواعد الفيزياء ، رسول الثقة فى العقل البشرى بنّاء لقواعد الأيمان النفسى ، وقد أتى الرسول وألقى برسالته ، فوقعت هذا العام فى البرتغال فارتاع لها الجهال . وقديما خاف الناس الشهب وراعتهم المذنبات . أليس أبو تمام يقول :

وخوفوا الناس من دهياء مظلمة
اذا بدا الكوكب الغربى ذو الذنب
وصيروا الأبرُج العليا مرتبة ماكان منقلبا أو غير منقلب
تخرصا واحاديثا ملفقة ليست بنبع اذا عدت ولا غرب

ليت شعرى أى مذنب كان هذا ؟ وفى أى سنة ميلادية بالضبط كان ؟ وهل هو مما سجله علماء الفلك؟ وهل فى حسبان تاريخه التقريبى نفع ؟

جماد يبصر حيث تعمى العين

نزلت فى الصيف الماضى بضيعة من ضياع الريف بانجلترا فى دار رجل طيب الخلق سمح كريم الا أنه شديد على كل من مس ماله وثروته ، كان يذكر ذلك ويفخر به ويعلله بأنه كسب ما كسب من عرق جبينه ، لا عرق جبين والد أو عم . لذلك أغمه وأهمه ونحن نزول عنده أن لصا ماكرا لحوحا الحّ على بيت للدجاج له يقع بعيدا عن الدار فكان يحمل منه كل ما وجد به من البيض ، وغاظ صاحبنا منه أمران ، أولهما أنه كان يختلف الى بيت الدجاج والشمس فى السماء ومع هذا يفلت ، وثانيهما أنه كان يلبس حذاء من قش حذرَ أن تنطبع قدمه فى الأرض فتدل عليه . وفى ذات يوم ونحن جلوس الى المائدة

يحدثنا صاحبنا الريفى للمرة العاشرة عن السارق ويشكو ، اذا بأساريره تبرق وعينه تلمع وأسنانه تتحرق تحرق المغيظ جاءه النصر على غير انتظار . فسألناه عن خطبه ، فقال فخ سأنصبه للوغد ، وعن قريب تسمعون عن رقم قياسى للبيض سيدفعه هذا الكلب النذل عن كل بيضة سرقها . وفى ذات مساء والشمس تغيب والمطر رذاذ كنتُ عند الباب الخلفى للدار أتفقد السماء، فلمحت صاحبنا يهرول من بعيد ، قد انكشفت نواجذه بابتسامة عريضة ، وتأبط شيئا صغيرا ملفوفا فى جريدة . فلما اقترب سألته عما جرى فقال صدت السارق ، فقلت فأين هو؟ قال هنا ، وأشار الى الصندوق الذى تحت أبطه، ثم سألنى أتعرف تحميض الصور؟ قلت نعم ، قال فهلم إلى معونتى فخبرتى بذلك قديمة منسية . وما كادت تظهر الصورة السالبة على لوح الزجاج الأسود حتى اختطفها يحملق فيها وكأنه تبين ملامح السارق . ولم يُضْحِ صباح اليوم التالى حتى كان اللص فى دار الشرطة ولم يسعه وقد واجهوه بالصورة الا الاعتراف. وخلاصة الأمر أن صاحبنا الفلاح خبأ الكمرة داخل بيت الدجاج ووصلها بسلك بالباب. وكانت فى مواجهة الداخل،فلما دخل اللص فتح الباب فانكشفت العدسة فارتسم المنظر فكانت شهادة لجماد لا تعدلها شهادة الاحياء .

خطر لى بعد هذا الحادث أن مضيفنا كان لا شك رجلا فطنا ، وأن صاحبنا اللص كان على حيلته غبيا لأنه خالف عرف اللصوص فزار البيت نهارا ، وسألت نفسى وماذا كانت الحيلة لو أنه زار الدار ليلا ، وأخذت أداور حلولا فى رأسى للتسلية . ثم انتقل فكرى من هذا كله حتى كان هذا الاسبوع فوجدت سؤالى يجاب فى بعض أنباء العالم ، ذلك أن رجلا استخدم لالتقاط الصورة فى الظلام مصباحا كهربائيا يشع بالنور البنفسجى المعروف، الا أنه استبدل بزجاجة المصباح الشفافة زجاجة خاصة سوداء تحجب من الضوء البنفسجى كل أشعاعات الطيف المرئى وهى الشعاعات التى تحسها عين الانسان وبها تبصر ،ولكنها لا تحبس ما فوق تلك من أشعاعات كيميائية تؤثر فى الافلام الفوتغرافية ، فانت اذا نظرت مثل هذا المصباح فى حجرة مظلمة فأنت لا تراه ، ولكن اذا كان بيدك كمرة ففتحتها ارتسمت فيها صورته وارتسم كذلك المكان . فلو أن لصا زار بيت الدجاج ليلا



وكان به مصباح كالذى نحن بصدده لما أفادته الظلمة شيئا. والى جانب هذا صورة أخذت فى الليل بهذه الطريقة ، بها السيدة تمثل اللص والى جانبها المصباح رأته الكمرة وضاء برغم سواده فى العين .

أحمد زكى



الجـــورب الوردى

للقصصى الروسى تشـــيكوف

أخذ السحاب الجون يتكاثف حتى حجب السماء ، وطبق الارض ، وأرسل المطرهتانه ، حتى أصبح إقلاعه بعيداً أمده . فجاء اليوم عابس الوجه .لا ترى فى أ رضه غير البرد الساقط ، وطير الزاغ ويبلله القطر ، وفى داخل المنـازل امتد غبش الليل واشتد قارس البرد حتى أمسيت تشعر بالحاجة الشديدة لحرارة المدفئة .

كان بافيل بتروفيتش سوموف يروح ويغدوفى مكتبه متأففا من الجو متبرما به ، فسفعات المطر للنوافذ والظلام الشامل للغرفة حملاه على الاستياء الشديد والتذمر المر ، ولقد كان ضجره لا يحتمل وما كان فى يديه ما يشغله . فالجريدة لم تصل اليه حتى الساعة والصيد متعذر حصوله ، صعب بلوغه ، وما كان الوقت وقت عشاء .

لم يكن سوموف وحيداً فى غرفة عمله ، فقد جلست الى مكتبه مدام سوموف وهى حسناء نحيلة فى غلالة بيضاء وجورب وردى ، وكانت منهمكة فى تحبير رسالة ، وكان ايفان بتروفيتش عندما يحاذيها فى جيئته وذهابه ينظر من وراء كتفيها ما تكتب فيرى حروفا كبيرة ودقيقة وضيقة منمقة غاية التنميق ! لها ذيول وبها كثير جدا من الطمس والمسح والتلويث وأثر الاصابع ، وكانت مدام سوموف لا تحب الورق المسطر ، وكل سطر تكتبه ينحدر بتعرجات قبيحة حتى ينتهى الى الهامش .

سأل سوموف زوجه حين رآها تبدأ الكتابة فى الصفحة السادسة « لمن تكتبين مثل هذه الرسالة الضافية ياليدوتشكا ؟ »

ــ الى الأخت فاريا

ــ أوه! . . خطاب مسهب . . أننى ضجر . . دعينى اقرأه

ــ لك أن تقرأه . . بيد أنه لا يلذك

تناول سوموف الصفحات المكتوبة وهو يذرع أرض الغرفة وأخذ يقرأ . .

أرتفقت ليدوتشكا على ظهر كرسيها وجعلت ترقب ما على وجهه من تعابير . استطال وجهه بعد الصفحة الأولى وظهرت عليه ملامح الرعب ! ! وفى الصفحة الثالثة قطب جبينه وحك مؤخر رأسه ، وفى الصفحة الرابعة أمسك عن القراءة ونظر بوجه المرتاع الى زوجه . . وتظاهر بالتأمل . وبعد تفكير قليل تناول الرسالة ثانية وهو يتأوه وعلى وجهه أثر الارتباك والحيرة ثم الارجاف والفزع .

لما فرغ من قراءة الرسالة قال متمتما : « حسن ! . . هذا لا يجوز ! ورمى بالأوراق على المكتب ، هذا لا يصدق ، مافى ذلك ريب . . . .

فسألته ليدوتشكا وقد امتقع لونها : ما الخبر ؟

ــ « ماالخبر؟ تملأين صفحات ستا وتمضين ساعتين فى خرفشة لامعنى لها ولا طائل تحتها . . . ولاشىء فيها بالمرة . . آه لو كان بها ولو فكرة ضئيلة ! يقرأ المرء ثم يقرأ وفكره مشوش ، وذهنه مضطرب كأنما يفك اغلاقا صينية عن صناديق شاى ! أوه !

قالت ليدوتشكا وقد ضرج وجهها الحياء : هذا صحيح يافانا . . كتبته دون عناية

ــ أجابها : اهمال زائد عن الحد . . ففى رسالة غير منمقة ولا محبرة . . . معان وأسلوب . . وأحساس ، أما رسالتك فسامحينى ، ان قلت لك بأنى لا أتذوق لها طعما . . جمل وكلمات لا احساس فيها ولا معنى لها . خطابك جميعه . . كمحادثة بين صبيين « عندنا عجة اليوم . . جاء جندى ليرانا . . » انك تكررين المعنى الغث البارد » لك أن تريه وتعيديه بنفسك . أما الفكرة السخيفة فترقص بين السطور كالشياطين ولا حد عندك للبدء من النهاية . كيف تكتبين هكذا ؟

قالت ليدوتشكا تدافع عن نفسها : اذا كنت أكتب بتجويد وعناية . . لايمكن أن تكون هناك غلطات

فاجابها زوجها : اننى لا أتكلم عن الاخطاء . . الأخطاء النحوية

المروعة . لا يوجد سطر لا يعد اهانة شخصية للنحو . لا وقف ولا علامات ولا هجاء ! إنه يأس مريع ! انى لا أمزح ياليدا فانا مروع فزع من رسالتك، لا تحزنى يا عزيزتى فما كنت أظن فى الواقع أنك تجهلين النحو هكذا . . . مع انك تنتمين الى بيئة مثقفة ودرجت فى بيت علم . فانت زوجة رجل جامعى وابنة قائد . قولى لى أذهبت الى المدرسة ؟

— نعم لقد تعلمت فى مدرسة فون ميكى الداخلية

فهز سوموف كتفيه واستمر فى مشيته متأوها . . . أما ليدوتشكا العالمة بجهلها فتنهدت ثم نكست رأسها . مرت عليهما دقائق عشر ما نطقا فيها بحرف

وقف سوموف فجأة أمامها ونظر الى وجهها برعب وقال : إنك تعرفين يا ليدوتشكا أن الأمر جد ! أنك أم ! . . . أتفهمين ؟ . . أم ! . . كيف تعلمين بنيك اذا كنت لاتفهمين شيئا ؟ أنك ذات عقلية خصبة وذهنية نيرة . . . ولكن ما جدوى ذلك اذا كنت تجهلين كل شيء . فلا تعرفين شيئا من الآداب ولا من العلوم على أننا سنغض النظر عن المعارف ، لان الاطفال سيتعلمون ذلك فى المدرسة ، ولكنك تعرفين ضعفك فى الادب وبلادتك فيه ، تستعملين فى بعض الأحيان لغة تجعل أذنى فى طنين !

ثم هز سوموف كتفيه مرة أخرى وجمع اليه ثوبه واستمر فى سيره . . . شاعرا بالغيظ والحنق ، وفى الوقت نفسه آسفا على ليدوتشكا التى لم تحتج ولم تعترض، ولكنها اكتفت بأن ترمقه من طرف خفى . وأحسا معا بالضيق الجاثم على قلبيهما ، والهم المتمكن من نفسيهما ، حتى أذهلهما الحزن عن كل شيء فلم يدريا كيف مر الزمن وكيف قربت ساعة العشاء .

ولما جلسا للطعام شرب سوموف المولع بالطعام الشهى الهنى قدحا كبيرا من الفودكا وشقق الحديث فاداره على وجوه أخر . وكانت ليدوتشكا تسمع لما يقول مسلمة راضية . بيد أنها وهى تشرب الحساء اخضلت عيونها بالدمع ثم خنقتها العبرات .

فنهنهت دمعها بمنديل وقالت : « إنها غلطة والدتى ! نصحها جميع الناس بارسالى الى مدرسة عالية ، ومن هناك كنت على يقين من ذهابى الى الجامعة »

فتمتم سوموف « الجامعة ! . . . مدرسة عالية ! . هذا كثير يابنيتى ! ما الفائدة من أن تكونى احدى ذوات الجورب الأزرق ! الجورب الازرق هو الشيطان الرجيم فى نار الجحيم ! ! لا يمسى صاحبه رجلا ولا امرأة ، وانما يكون شيئا بين بين ، أنى أبغض من كل قلبى الجوارب الزرقاء . . . ولن أتزوج امرأة متعلمة »

فاجابته ليدوتشكا ! لاأدرى كيف أفهمك ؟ تغضب لأنى لست متعلمة وفى الوقت نفسه تكره النساء المتعلمات ! لقد تنكرت لى وسخرت بى لان رسالتى كانت خلوا من كل فكرة ، فارغة من كل معنى ، ومع هذا فانت تعارض فى دراستى ولا تستحسن تعلمى »

— لقد أصبت شاكلة السداد يا عزيزتى قال هذا سوموف وهو يتثاءب ثم ملأ قدحا آخر من الفودكا .

* * *

تحت تأثير الفودكا والطعام الجيد أصبح سوموف أكثر رقة ودماثة . أخذ يرقب باهتمام زائد زوجه الحسناء وهى تعمل التوابل . نغمره فيض من الحنان المحض والحب الشديد ، ودفعته عاطفة ملحة الى النسيان والتسامح ، ثم أخذ يحدث نفسه ويلومها : « إنها غباوة منى أن أغضب هذه الفتاة المسكينة ! ما الذى حملنى على الجهر بكل هذه الأشياء الجارحة . إنها غبية . ذلك حق . . غير مثقفة . . سطحية . . بيد أن للمسألة وجهين . . . . . .

« والوجه الآخر مفهوم . » . . . . ربما يكون الناس على حق عند ما يقولون أن سطحية المرأة ترجع الى حرفتها . ومن المسلم به أن من عملها أن تحب زوجها وتربى أطفالها ، ثم تصنع التوابل ! ! فما الذى ترجوه من التعليم ؟ لا شيء على التحقيق .

وهنا ذكر ان النساء المتعلمات غالبا مملات يبعثن الضجر والسأم فى النفس ، ثم هن دقيقات صارمات عنيدات . ولكن ما أيسر توفيقك مع الغبية ليدوتشكا التى لا تشمخ بانفها . . ولا تصعر خدها ولا تفهم كثيرا . . . أنه السلام والراحة مع ليدوتشكا ولا خطر منها على المرء أبدا : « لعنة الله على أولئك النسوة البارعات المتعلمات ! ولخير للمرء وأحسن عقبى أن يعيش مع الساذجات منهن» . ثم دار بخلده وهو يتناول صحنا من لحم الفروج من ليدوتشكا أنه فى بعض الأحيان قد يشعر الرجل المثقف بالرغبة الشديدة فى الحديث ومبادلة الافكار مع امرأة حاذقة كاملة التعليم . ولكنه قال : « ما هذا » إذا رغبت فى التحدث عن موضوعات عقلية . . . فسأذهب إلى (ناتالا أندريفنا) أو الى (ماريا فرانتسوفنا) ، هذا سهل جدا . . . ولكن لا . لن أذهب فالمرء يستطيع البحث فى الامور العقلية مع الرجال . ثم قطع بهذا أخيراً ! ! !

محمود البدوى

الشاعر روبنيول

كوميدية فى فصل واحد

للكاتب الفرنسى پول پرولا

قلت للشاعر والشاعر ذو سهم يطيش
انت إن عشت تمت جوعا وإن مت تعيش

جميل صدقى الزهاوى

(المنظر : ساحة قرية سانجان ديفين الوحيدة . يرتفع الستار فترى حركة غـــير عادية فالأهلون يتأهبون للاحتفال برفع الستار عن تمثال نصفى من المرمر للشاعر فرنسوا روبنيول الذى اختفى فى أوائل الحرب الكبرى واعتقد الناس أنه ميت . يرى التمثال وسط الساحة وقد قام على قاعدة حفر عليها اسم الشاعر وتاريخا ميلاده وموته ، وعلى جدار أحد المنازل كتب بحروف بارزة التنبيه الآتى : «ممنوع وقوف السابلة» ثم يرى خفير القرية مشغولا بترتيب المقاعد حول النصب التذكارى استعدادا للحفلة . جموع من العمال والفلاحين والملاك والنساء والأطفال وبعض رجال المطافىء واحد الشرطة)

المشهد الأول

العمدة . وكيل العمدة

العمدة — (مشرقا من الغبطة) أخيراً حل اليوم السعيد ! كاد يفرغ صبرنا ونحن نتعجل هذه الساعة المجيدة !

الوكيل — كل هذا صنع يدك يا سيدى العمدة ! . . لقد شاهدتك عن كثب ورأيت بعينى المتاعب الجمة التى تحملتها وحدك لتحتفل بهذا النصب التذكارى !

العمدة — فعلا كدت أرزح من التعب يا وكيلى العزيز وشريكى الفاضل فى تهيئة هذا المهرجان الأدبى العظيم . . .

الوكيل — (متواضعا) أوه ! شريكك ! إن طيبتك الفطرية يا سيدى العمدة لتغالى فى تقدير ما قمت به ! . . . إنى لم أجازف بأكثر من معاونتك و . . .

العمدة — (مقاطعا) حسن ! حسن ! . . . آه يا صديقى . لقد أدرك الكل أخيراً أننا نحمل فى أعناقنا هذه الدية المقدسة نحو ذكرى شاعرنا الكبير فرنسوا روبنيول ، مجد قريتنا الخالدة سانجان ديفين ! . . . بفضل أشعاره الرائعة لم نعد مجهولين بين مواطنينا فى أنحاء فرنسا ! جميع صحف العاصمة تتحدث عنا وهى تمجد عبقرية فرنسوا روبنيول ! . . .

الوكيل — (ينظر فى ساعته) الساعة الآن الثانية والنصف وقد تقرر ميعاد الحفلة فى الثالثة ! . . . حضر وكيل المديرية ولم نعد ننتظر غير حضرة النائب المحترم الذى سيجىء خصيصا من باريس

العمدة — آه ! نعم ! حدثنى عن حضرة النائب المحترم ! تصور يا صديقى انه لم يكن قد سمع بفرنسوا روبنيول قبل الآن ! أما اليوم فهو يشيع فى كل مكان أنه أول من اكتشفه ! . . .

الوكيل (ضاحكا) لم يفطن أحداليه ولم يكن بين سكان القرية من يؤمن برسالته ! .

العمدة — تخطىء يا صاحبى تخطىء ! . . أنا ، لم أشك لحظة واحدة فى نبوغه ! . . نعم ، أعرف أنهم كانوا يذيعون عنه - فى حياته - ان به مساً من الجنون لقرضه الشعر . . وكان ذلك مدعاة للسخرية منه والهزء به ، ولكنى الوحيد الذى اكتشف عبقريته الوليدة !

الوكيل — يالروبينيول المسكين ! . من كان يظن أنه سيصبح شهيراً . . بعد موته ! . . من كان يتصور أن يقام له تمثال فى القرية وأن يطلق اسمه على أهم شوارعها ! ؟ . .

العمدة — فى لهجة (خطيرة) انا نتدارك اليوم خطأ فاحشاً !

الوكيل — ونفخر جميعا بشهرته اللامعة !

العمدة — (مقتربا من الوكيل يساره) ولو أن الانسان عندما يتوسم هذا الوجه يصعب عليه أن يميز فى سماته كل هذه الكفاءة النادرة ! . .

الوكيل — (كمن يلقى حكمة غالية) ياسيدى العمدة لا يعرف قدر عظماء الرجال إلا بعد موتهم ! . . (صمت قصير) يخيل الى انى مازلت أراه سابحا أمامى فى خياله . غائصا فى لجة افكاره العميقة كان يتأهب ولا شك لتدوين روائعه الخالدة ! . .

العمده — بينما الناس كانوا يتهمونه بالكسل ويتشككون فى رجاحة عقله ! . . حتى امرأته التى كانت لا تخفى عنه احتقارها إياه ! . .

الوكيل — أما اليوم فقـــد عادت فخوورة بحمل هذا الاسم العظيم !

العمده — نعم . أصبحت الارملة الشهيرة التى تشع حواليها هالة المجد !

الوكيل — يقال انها اعتزمت الامتناع عن الزواج ! . . (ساخرا) إلا اذا أتيح لها أن تقترن بأحد الخالدين ، إذ مما لا شك فيه أن روبنيول لو امتـــد به العمر الى يومنا لانتخب عضوا فى المجمع الأدبى !

العمدة — يجب أن تعترف أن سلوكها الخلقى منذ ماتوفى زوجها لاغبار عليه ..

الوكيل — (متخابثا) نعم.. منذ أن توفى !.. أماقبل ذلك.. على كل حال سوف نراها بعد حين فى ثياب الحداد .. وكأنها تمثال الأسى الذى لاتنفع فيه تعزية ! ..

(يستمران فى الحديث ثم يتجهان نحو التمثال حيث يستقبلان الوافدين مصافحات بالأيدى . تحيات الخ)

المشهد الثانى

العمدة الوكيل . شرطى . خفير القرية . المجهول

(يبدو المجهول فيتوسط الساحة وهو يتأمل الجمع من خلال نظاراته السوداء وقد أرسل لحيته الكثيفة وارتدى لباسا قرويا)

الشرطى — (لخفير القرية)ألم تلاحظ هذا المخلوق الغريب الذى يرود الناحية منذ هذا الصباح ! لا يعرفه من أهل القرية أحد ولا أدرى من اين جاء ....

خفير القرية — يبدو من ملابسه أنه فى فقر مدقع ! لابد أن يكون أحد المتشردين ! ...

الشرطى — لن تغفل عينى عن مراقبته !

(يقف المجهول أمام بعض المارة يسألهم ولكنهم يدبرون فى غير اكتراث)

الشرطى — ألم يقرأ المعتوه الاعلان الحكومى : « ممنوع وقوف السابلة » ؟

خفير القرية — (ضاحكا) ربما كان لا يعرف القراءة !

الشرطى — لن تغفل عينى عن مراقبته ! (يبتعد الشرطى مع خفير القرية)

المشهد الثالث

المذكورون . بعض المارين . معلم القرية

(يقترب المجهول من بعض الملاك ويتكلف الحديث بلهجة قروية)

المجهول — عفواً أيها السادة . أرجو أن تتفضلوا على ببعض معلومات بسيطة ...

أحدهم — ماذا تطلب ؟

المجهول — قدمت إلى هنا بمناسبة المهرجان... نعم مهرجان الاحتفال برفع الستار عن تمثال فرنسوا روبنيول ، واريدان أعلم فى أية ساعة تحتفلون به ؟

أحدهم — فى الساعة الثالثة ...ولا ننتظر الا أولى الأمر ..

أثنان منهم — (للمجهول) وأنت من تكون ؟

المجهول — كنت أعمل أجيرا فى احدى الضياع البعيدة . أما الآن فقد أصبحت عاطلا ولذا ترونى أتنزه .

المالك الثالث - تنزه ياصاحبى تنزه ! .

المجهول — (فى شىء من التردد والخجل) هل لى أن اسألكم...

المالك الاول — سر فى طريقك يارجل ! لا نملك وقتاً للرد عليك ! . لو أن الانسان أصغى لجميع الناس لما بقى لديه لحظة لنفسه !

(يبتعدون جميعاً عن المجهول)

المشهد الرابع

المذكورون . المثال

العمدة — (وقد وقف امام التمثال يقول موجهاً قوله للمثال) : فى غاية من الروعة والدقة تمثالك يا استاذ .

الوكيل — طرفة حقيقة ! باللجبين الناصع ! بالرأس الجميل ! والعجيب اننا جهلنا نبوغه المشرق !

العمدة — أعد نفسى سعيداً ياسيدى بأن أحمل إليك بشرى سارة : لقد حصلنا لك من وزارة الفنون الجميلة على وسام جوقه الشرف .

المثال — هذه منك طيبة لااستحقها ياسيدى العمدة . . بل شرف عظيم يبهظ كفاءتى المتواضعة ! لكنى مع الاسف أحمله .

العمده — تحمل ما ذا ؟

المثال — (باسماً) وسام الشرف !

الوكيل — باللخطأ الفاضح !

المثال — لا . لاداعى للكدر . لن يمنعنى ذلك عن حمل وسامين

(يضحكون ثم يحتاطون بالمثال مصافحين الخ الخ . .

المثال — أشكركم ! أشكركم يا أصدقائى الأعزاء ! هذا اليوم أجمل أيام حياتى ! (يستمرون فى الحديث)

المشهد الخامس

المجهول . معلم القريه

(يجيل المجهول الذى ظل مدة من الزمن وحده فى جانب من الطريق نظرة فاحصة حواليه فيبصر بمعلم القرية فيبتسم بسمة خبيثة ويتقدم اليه)

المجهول — تنازل واغفرلى فضولى الملح ياسيدى ! هل تسمح

لى أن ألقى عليك بعض الاسئلة ؟ انها تختص بشاعركم الكبير فرنسوا روبنيول !

معلم القرية — سل ماتشاء

المجهول — هل كانت لسيدى معرفة شخصية بروبنيول ؟

معلم القرية — (يشب بصدره مفاخراً) لقد كنت فى المقاطعة اخلص اصدقائه . بل صديقه الوحيد . كان الناس ينكرون عليه نبوغه . وانا وحدى فهمت تلك الروح الكبيرة الحائرة وعطفت عليها استمع الى نجواها السماوية . لذا اختصنى المرحوم بشكاواه المرددة ، وبهمس قلبه المعذب . انى معلم القرية !

المجهول — وهل تيقنتم من موته ؟

معلم القرية — لولم يمت لعلمنا بوجوده من خمس سنوات مضت على اليوم الذى اختفى فيه فجأة . . بالضبط فى أوائل شهور الحرب الكبرى

المجهول — و . . شكله ؟

معلم القرية — كان ذاوجه صبوح . حليق اللحية والشارب . جبين مشرق . عين حالمة . تأمل تمثاله النصفى . انه هو تماماً !.

المجهول — (متأملا التمثال) فى الواقع هذا رأس جميل !. وكيف كان يعيش ؟

معلم القرية — فى احلامه دائماً . كانت عاداته وطباعه تنم عن بساطة شديدة . وكان أحب شيء اليه أن يرود قمم الجبال وحيداً ، ويفكر ويتأمل . أن النفوس الكبيرة لاتجد قوتها إلا فى الوحدة !

المجهول — هذا حق ! (صمت قصير) وكيف تكشفتم عبقريته الدفينة ؟

معلم القريه — فى ذات يوم كتب أحد كبار نقاد العاصمة بحثاً مستفيضا عن أعمال الشاعر فرنسوار وبنيول الادبية بمناسبة موته فى ميدان القتال . وكان مما كتبه قوله : « لقد نكبت الاداب الفرنسية بخسارة اخرى فادحة » ثم قال بعد ذلك : « إلا أن روبنيول من أولئك النوابغ الذين واتاهم الحظ السعيد فتراهم يحيون بعد موتهم . . انهم يحيون فى أعمالهم الادبية الخالدة ، فى شعرهم الذى يجالد القرون المتعاقبة زاهيا وضاء كأول فجر اشرف على الانسانية . . » هذا البحث الأدبى البديع نقلته جرائد مقاطعتنا عن جرائد العاصمة وعقبت عليه بشتى التقريظات . . وهكذا انتشرت دواوينه الشعرية بيننا وأثارت الكثير من الحماس والاعجاب . . (صمت قصير) كيف امكننا أن ننكر نبوغ رجل مثل هذا !.

المجهول — (يطرق مفكراً ثم يقول) نعم ، انه لخير عظيم للشاعر أن يموت ! (بعد فترة وجيزة) وأرملته ؟

معلم القرية — لاتجد الى التعزية سبيلا !. لن تتوانى عن الحضور . سوف تراها بعد قليل .

المجهول — هل لك أن تقدمنى إليها ؟

معلم القرية — وهل لك حاجة اليها ؟

المجهول — نعم . أود أن أقدم اليها قصيدة من الشعر ألفتها للمناسبة تمجيداً لروبنيول .

معلم القرية — (دهشا) أأنت أيضا شاعر ؟

المجهول — (متواضعا) نعم !

معلم القرية — (ضاحكا) حسبتك أحد القرويين .

المجهول — انى قروى أيضا (ضاحكا) الشاعر القروى !

معلم القرية — عجيب وربى ! ومع دلك ، لم لا ؟. انظر ! هاهى الارملة المجيدة !

المشهد السادس

المذكورون . والأرملة

(تبدو الأرملة العظيمة وقد ارتدت كامل ثياب الحداد ، بطيئة الخطوة ، مرفوعة الرأس ، مهيبة الطلعة ، فيحتاط بها الناس ثم تجلس على مقعد كبير . عندئذ يتقدم اليها المجهول فينحنى أمامها انحناءة عميقة ثم يخرج من جيب ردائه ملفاً من الورق)

المجهول — سيدتى ! اسمحى لى أن أرفع الى مقامك السامى احتراماتى . . وهذه الأبيات التى كتبتها إشادة بمجد الشاعر العظيم الذى تحملين اسمه الخالد !

الأرملة — (فى عدم اكتراث ظاهر) أكانت لك به علاقة سابقة ؟

المجهول — كلا ياسيدتى . . غير أنى أحفظ جميع قصائده عن ظهر قلب . . ولا أزال شديد الاعجاب بها

الأرملة — (متقبلة الورقة التى يقدمها اليها فى خشوع) عفواً ماذا تسمى ؟

المجهول — جوزيف . . جوزيف فيليو

صوت — ما أسمج الرجل ! . . لقد أطال الحديث !

صوت آخر — يغالى فى استغلال الفرص !

الأرملة — (للمجهول) أتقيم فى البلدة ؟

المجهول — لا ياسيدتى ! مضى زمن طويل على هجرتى منها . . هذا هو السبب الذى جعل الكل ينكرون معرفتى

(تكونت دائرة من الناس حول المجهول والأرملة)

صوت — ما الذى جاء يفعل هنا ، هذا الغريب ؟
صوت آخر — تأملوا حذاءه البالى . . تأملوا سترته الممزقة وسرواله المتسخ ! . . لا شك أنه شحاذ ! . .
صوت آخر — ربما كان لصاً ؟
صوت آخر — من الصواب أن يطرد خارج القرية !
معلم القرية — على كل حال لا أراه يزعج أحدا . . وله الحق فى أن يعجب بروبنيول كغيره من الناس !
الأرملة — (وقد انشغلت أثناء الحوار الأخير بتلاوة الأشعار) نعم . . لا بأس بهذه الأبيات ! . . (تقرأ بصوت عال)
« لا تحزن فما الموت الا كلمة جوفاء ! عند ما توارى فى التراب »
« وتحجب ظلمة القبر عن عينيك دنيا النور ، عندما تشعر »
« بجثمانك البارد وقد فارقته حرارة الحياة وبدأت ديدان الأرض تأكله
« فلا تصدق أنك الى الفناء ، لأن قلبك المرتعش مازال ينبض »
« وما زالت فى عمق أعماقه نطفة الحياة والخلود ! »
(توجه الحديث الى من حوالها تقول فى شىء من التسامح :)
الارملة — لابأس بهـــذه الأشعار ! خصوصا والشاعر مبتدىء . . (للمجهول) ربما واتاك النبوغ . . . يوماً ما ! . .
(تعيد اليه ملف الورق)
المجهول — (فى صوت خافت وهو يشير الى التمثال) نعم مثله . . بعد موتى !
صوت — هذه أشعار تافهة !
صوت آخر — باهتة !
صوت آخر — بائخة !
صوت آخر — ليرحل عنا هذا الشويعر ! لقد اتعبنا مرآه ! .

المشهد السابع

المذكورون ، النائب المحترم . وكيل المقاطعة
(حركة عامة وضوضاء فجائية . يدخل النائب المحترم متبوعا بوكيل المقاطعة . يصافحان الحاضرين ثم يأخذ كل مكانه لبدء الحفلة يجلس النائب المحترم على كرسى الرياسة والى يمينه الأرملة والى يساره وكيل المقاطعة والعمدة . يسود صمت عميق مدى لحظة ثم يقف النائب)
النائب — الكلمة لحضرة العمدة !
(يقف العمدة وينحنى يمينا ويسارا متكلفا الرزانة والوقار ثم يبدأ بقراءة الخطبة وقد وقف الى جانبه معلم القرية)
العمدة — «حضرة النائب المحترم ! سيدى وكيل المقاطعة ! ، سيدتى ، مواطنى الأعزاء !
ان هذا اليوم ليس يوم حداد . . اننا لا نبكى ميتا . . إذ أن هناك أموات كما قال الشاعر يو . . يو . . « يتوقف عن القراءة لرداءة الخط »
معلم القرية « يلقنه » يحطمون . .
« . . يحطمون بجمجمتهم صخر قبورهم ! . . (حركة ارتياح وموافقة من الجميع . يرفع عقيرته)
فرنسوا روبنيول أيها السادة مازال حيا بيننا ! نعم مازال حيا فى ذكريات كل منا . . وسوف يحيا الى الأبد فى ذاكرة البشر لأن العبقرية تهزم الزمن ، والفناء لاسبيل له الى الخلود ! »
الجميع — جميل جداً ! جميل جدا ! ليحى الخطيب !
العمدة — (مستمراً) وا أسفاه ! أيها السادة وأنا استعرض أمامكم صورة هذا المواطن الذى أصبح فى الخالدين والذى تشرفت قريتنا المتواضعة بفتح عينيه للنور ، تواردت الى خاطرى الحزين كلمة باسكال المأثورة : ما الحياة إلا نوم عميق لا نصحو منه إلا . . الا . . . .
معلم القرية — (يلقنه) ساعة الموت !
العمدة — (يعيد بقوة) ساعة الموت ! . . . وفى واقع الأمر يخيل الى أن روح فرنسوا روبنيول كانت تنتظر بفارغ الصبر اللحظة التى تفارق فيها جسده البالى كى تتجلى أمامنا . أيها السادة لقد عبر شاعرنا العظيم وادى الألم هذا مجهولا من الجميع ، مجحود الفضل ، دون أن يتململ راضياً كفيلسوف قانع باسم بما ارتضاه له القدر من حظ عاثر ومكان وضيع فكان بعمله هذا حكيما اذ أن المجد أغلى نعم الدنيا ثمناً ! وحم القضاء ايها السادة فتلقفت أيد قدسية أعماله الادبية المتناثرة وضمتها الى بعضها فى دواوين حفظتها للخلود ! هكذا أتيح لصحافتنا ولجريدتين من أمهات جرائد العاصمة أن تدرس أشعاره العلوية وأن تزف الى فرنسا وإلى العالم المتحضر أبكار معانيه الساحرة وأوزان قوافيه الموسيقية . حينذاك اصغى الناس الى هذه الأنغام السماوية وشاع الحماس فى كل الاوساط فكتب ناقد كبير يقول : « إن فرنسا الشاعرة تضم الى شعرائها الخالدين شاعراً غنائياً عظيما ، هو منهم فى الصدر » أيها السادة إن هذا المجد المتلألىء يضىء اليوم قرية سانجان ديفين التى تذكر لأول مرة فى تاريخ الادبيات الفرنسية . فقد تغنى شاعرنا الراحل بمناظرنا الطبيعية الرائعة فى قصائده الخالدة . . . وهكذا اصبح لنا بفضله وجود وخرجت

قريتنا العزيزة من دياجير الظلمة والجهل الى نور الشهرة الباهرة . .
(تصفيق حاد عنيف متواصل)

(يستمر) نعم ايها السادة ، كان فرنسوا روبنيول بين ذلك النفر الممتاز الذى يحيا وقد مات ! لقد صاغ بنفسه هذا المعنى فى أبيات كتب لها الخلود ! :

« لا تحزن فما الموت إلا كلمة جوفاء ! عندما توارى فى التراب »
« وتحجب ظلمة القبر عن عينيك دنيا النور . عندما تشعر »
« بجثمانك البارد وقد فارقته حرارة الحياة وبدأت ديدان الأرض تأكله »
« فلا تصدق أنك الى الفناء لأن قلبك المرتعش ما زال ينبض »
« وما زالت فى عمق أعماقه نطفة الحياة والخلود ! »

(تصفيق كهزيم الرعد)

أصوات مختلفة — ما أجمل هذه الأشعار ! بديع ! عظيم ! ياللشاعر الفحل ! ياللعبقرية !

(هنا تنفجر ضحكة هائلة فيلتفت الجميع فاذا بالضاحك هو المجهول! هرج ومرج ! يندفع الكل إليه حانقين)

صوت — (فى أشد حالات الغضب) من تكون يارجل ؟

صوت آخر — ماذا تعمل هنا ؟ لست من أهل الناحية !

سيد — (يأخذ بتلابيبه) اعترف بأنك مرتش من أعدائنا لتثير فضيحة !

اصوات عديدة — ليطرد ! ليطرد !

وكيل المقاطعة (للشرطى) أيها الشرطى ، فتش هذا المخلوق !

النائب المحترم — سله أن يبرز أوراق اثبات الشخصية !

(موافقة من الجميع)

الشرطى - (يدافع الجمع الحاشد) سأفعل ياحضرة الوكيل ! ويتقدم من المجهول ويمسك بذراعه) عجل بتقديم أوراقك !

المجهول — (يخرج من جيبه شهادة ميلاده وأوراقا اخرى)

الشرطى — (لايكاد يلقى نظرة على شهادة الميلاد حتى يقول مصعوقا) ما معنى هذا ؟ ياللشيطان ! تسخر من السلطات الحكومية يارجل ؟

وكيل المقاطعة — (يتقدم هو أيضا ويلقى نظرة جائلة على الأوراق فيصرخ دهشاً) : أيمكن هذا ؟ لا أفهم !

المجهول — لاتفهم ؟ . . لقد قرأت جيداً ! هذه شهادة ميلادى: « فرنسوا روبنيول ولد فى قرية سانجان ديفين يوم الأحد ١٧ يناير سنة ١٨٩٠ » وأنا هو فرنسوا روبينيول : آه ياسادة ! أنتم لا تعرفون سحنتى والحق معكم : تغيرت كثيراً عما كنت عليه قبل هذه السنوات الخمس التى مضت . . فقد أرسلت لحيتى وشاربى . . تأملونى مع ذلك جيدا . . ينزع منظاره عن عينيه ويرى يميناً وشمالا) إلا تذكرنى ياجنتران ؟ ولا أنت ياباتاريل؟ وأنت ياجيشو؟ الاتذكر أيام كنا ننطلق معا الى الجبل؟ . هذا هو مسكنى (مشيراً الى أحد المنازل) (دهشة عامة . يستمر فى حرارة متزايدة) لكم آلمتمونى ! لقد نغصتم على عيشى فلم اطق الحياة بينكم . . ولذلك اختفيت . أدعيت الموت فعاد على ذلك بالخير العميم والمجد العظيم . . . (ضاحكا) لأن الناس لايعدلون إلا مع الاموات ! اذن حسبتمونى ميتا ايها السادة ! واسفاه ، مازلت من سكان هذا العالم ! وها أنذا اقول لكم: انتهت المهزلة . . . . فتعالوا نضحك منها سويا . . .

العمدة — هذا الرجل مخلوق كاذب !

الجميع — كفى ! كفى ! انه يريد الهزء بنا ! أخرسوه اطردوه

النائب المحترم — (فى هياج شديد) من العار أن نسمح لهذا الدعى أن يسخر منا !

معلم القرية — انه مشعوذ سخيف !

المجهول — « فى صوت جهورى » هنا مع ذلك شخص لايمكنه أن ينكر معرفتى ! (يشير الى الارملة) هذه المرأة ! . . (غمغمة عامة : فضول !)

الارملة — (فى احتقار) لا أعرف هذا الانسان !

الجميع — أرأيت ؟ انت مجنون ! . . ألقوا به الى الخارج ! اقبضوا عليه ! . . الى السجن ! الى السجن ! «يقفز المجهول الى المنصة ويصيح بين الضحكات والاحتجاجات العاصفة »

المجهول — ايها الحمقى ! انما اقمتم هذا التمثال لانفسكم . . لغروركم الوضيع . لم يكن فرنسوا روبنيول بالشاعر الكبير . بل كان فنه كاذبا وعبقريته مزيفة . فلو كان عظيما حقا لما فهمتموه ! انكم انما مجدتموه لانه مرآة نفوسكم الخاملة ، وصورة اذهانكم المحدودة . انه لم يمت ، وهاهو ذا امامكم ، لافى صورة تمثال من المرمر بل حيا يرزق؛ وفى استطاعتى أن أبدى فيه رأيا صريحا خيراً من أى واحد منكم . لاننى . أو بعبارة اخرى لأنى كنت . . .

(لكنه لا يستطيع الاستمرار فصرخات الاحتجاج تغطى . صوته (يصيح الكل : انتزعوه من على المنصة) القوا به الى النهر اصبح السخط عاما . يتقدم الشرطى وخفير القرية من المجهول ويستاقانه فى غلظة)

الشرطى — (يجذبه بعنف) كفاك سفسطة ! الى السجن ! . . . لاتعاند ! تقدم معى !

بليـــــاس ومليزاند

للفيلسوف البلجيكى موريس ماترلنك
ترجمة الدكتور حسن صادق

(تابع)

راينيولد ــ نعم . نعم . إنها تجالد كل الوقت الذى تغيب فيه عن البيت

جولو ــ آه ! . . . أحد الناس يجتاز الحديقة وبيده مصباح ولـكن قيل لى إنهما لا يتحابان . . . ويغلب على ظنى أنهما يقضيان أغلب الاوقات في جدل عنيف . . . كلا ؟ نعم ؟ حقا ؟

إينيولد ــ نعم . هذه حقيقة

جولو ــ نعم ؟ . . آه ! آه ! . . . ولـكن فيم يتجادلان ؟

إينيولد ــ فى شأن الباب

جولو ــ كيف ؟ فى شـأن الباب ؟ ما هذا الهراء الذى تقصه على ؟ ألق بالك إلى وأفصح . لماذا يتجادلان فى شأن الباب ؟

إينيولد ــ لانهما لا يريدان أن يظل مفتوحا

جولو ــ أيهمـا لا يريد أن يظل الباب مفتوحا ؟ . . أوه ! تكلم . لماذا يتجادلان ؟

إينيولد ــ لا أدرى يا أبى . . . النور سبب الجدل

جولوا ــ موضوع حديثنا الباب لا النور . . . ما هذا ؟ ! لا تضع يدك هكذا فى فمك . . .

(يمضى الشرطى بالمجهول فتصدح الموسيقى بنشيد المرسليز)

النائب ـــ (يقف ويشير الى الجمع بالصمت) ياأصدقائى الاعزاء ! هذا الحادث السخيف الذى أثاره مجنون (اصوت نعم نعم) لا ينبغى ان تمنعنا عن أداء واجبنا المقدس نحو ذكرى شاعرنا الـكبير فرنسوا روبنيول !

(اصوات : ليحيى روبنيول !)

النائب ـــ أيها السادة ، الحفلة مستمرة . ان مجـد فرنسوا روبنيول هو مجد قريتنا العزيزة سانجان ديفيين . . . وموته خسارة لاتعوض على العالم المتمدن ! .. . .

(يستمر فى الخطابة بينما يسدل الستار شيئا فشيئا)

فتوح نشاطى

إينيولد ــ أبى ! أبى ! لن أفعل أبداً ما نهيتنى عنه . . (يبكى)

جولو ــ تكلم . علام البكاء ؟ ماذا حدث ؟

إينيولد ــ أوه ! أوه ! لقد آلمتنى يا أبى

جولو ــ آلمتك ؟ فى أى موضع ؟ لم أشعر بما فعلت ولم أقصد اليه

إينيولد ــ هنا . فى ذراعى الصغيرة

جولو ــ لم أرد إيلامك يا بنى . . . كف عن البـكاء . . . سأعطيك شيئا غداً . .

إينيولد ــ ماذا يا أبى ؟

جولو ــ سأهدى اليك قوساً وسهاما . . . ولـكن قص على ما تعرفه من أمر الباب

إينيولد ــ أتهدى الى سهاما كبيرة ؟

جولو ــ نعم غاية فى الـكبر . . . لماذا لا يريدان أن يظل الباب مفتوحا ؟ . . . ما هذا الصمت الاليم ؟ ! تكلم . أجب . . . لا . لا . . . لا تفتح فمك لتبـكى . . . ليس بى استياء ولا كدر . فيم يتحدثان وقت اجتماعهما ؟

إينيولد ــ بلياس وأمى الصغيرة ؟

جولو ــ نعم . فى أى شأن يتحدثان ؟

إينيولد ــ يتحدثان عنى . دائما فى شأنى

جـولو ــ وماذا يقولان عنك ؟

إينيولد ــ يقولان إنى سأصير كبيراً طويل القامة

جـولو ــ آه ! يابؤس عيشى ! إنى هنا كضرير يبحث عن كنزه فى أعماق اليم ! . . . إنى هنا كطفل صغير ضل فى غابة كثيفة . . وأنت . . آه ! لا تـكترث لما قلت ، فقد كنت لاهيا يا إينيولد . سنتكلم جادا يابنى . ألا يتحدثان ، بلياس وأمك الصغيرة ، عنى فى غيبتى ؟

إينيولد ــ يذكران اسمك في الحديث .

جـولو ــ آه ! وماذا يقولان عنى ؟

إينيولد ــ يقولان إنى سأصير كبيراً طويل القامة مثلك

جـولو ــ وهل أنت دائماً معهما ؟

إينيولد ــ نعم . نعم أقضى معهما كل الوقت يا أبى

جـولو ــ ألم يطلبا إليك قط أن تغادر الغرفة وتلعب فى مكان آخر ؟

إينيولد ــ كلا يا أبى . الخوف يـستحوز عليهما إذا بعدت عنهما

جـولو ــ الخوف يستحوز عليهما ؟ . . وكيف عرفت ذلك ؟

إينيولد ــ لانهما يبكيان دائما في الظلمة

جـولو ــ آه ! آه !

(يتبع)



دائرة المعارف الاسلامية

أغلاط الكراسة الاولى

للدكتور عبد الوهاب عزام

لايمارى أحد فى أن شباننا الذين شرعوا يترجمون دائرة المعارف الاسلامية جديرون بالاعجاب لعظم مقصدهم ، وصدق عزيمتهم ، واعتدادهم بأنفسهم فى الاضطلاع بعمل بعيد المدى ، عظيم الشقة . وانا لنرجو أن ينالوا من التأييد والاقبال مايفى بمثوبتهم على هذا العمل الجليل .

منعتنى أعمالى أن أبادر الى قراءة الكراسة الأولى من الترجمة العربية . فلما أتيحت الفرصة منذ أيام أقبلت على قراءتها أقبال المغتبط المتشوف ، فقرأت الكراسة كلها فى ساعات قليلة ولم أحس ضجرا ولاتعبا .

وقد ألفيت أثناء القراءة أغلاطا كثيرة أعرضها على القراء والمترجمين فى الفقر الآتية :

١ — فمن الغلط فى أسماء الناس والبلدان :

أرزن روم ص ١٠ . والصواب أرزن الروم . وفى الأصل أرضروم فلم يبق المترجم على الاسم التركى ، ولا اهتدى الى التسمية العربية ، ومن ذلك القرم ص ١١ والصواب القريم — وكبجاك ص١٤ . والصواب ققجاق — وأحمد تكدر ص١٥ — والصواب تكودار — وكتاب قرقد . والصواب قورقود كما يكتبها الترك — ومن ذلك أتميدان ص ٤٢ والصواب آت ميدانى . وهو ميدان فى استانبول كان الرومان يسمونه هيبودروم فسماه الترك آت ميدانى أى ميدان الخيل . — ومن ذلك إروان اسم مدينة ص ٤٩ والصواب أريوان — ومحمد صقلى باشا ص ٥٦ والاتراك يكتبونه صوقوللى فيحسن أن يكتب بالعربية صوقولى — وججرات اسم مدينة فى الهند ص ٥٧ والصواب كجرات — وججتاى اسم لهجة تركية والصواب جغتاى بالغين .

٢ — ومن غلط الأسماء الناشىء من الاضافة الفارسية وظن المترجمين أن حرف « i » فى الأصل يقابل الياء ، وهو كسرة لاغير : آب — ى حياة ص ١ . والصواب آب حياة — وكتابى قرقد ص ٢١ والصواب كتاب قورقود بغير ياء — وجلزارى ابراهيم ص٣٥ والصواب جلزار ابراهيم — وسجلى عثمانى والصواب سجل عثمانى — ومدخلى حقوقى دول ص ٥٥ والصواب مدخل حقوق دول — وتاريخى حقوق بين الدول ص٥٦ والصواب تاريخ بغير ياء — ونوسالى ثروتى فنون ص٥٦ والصواب نوسال ثروت فنون — وسالنامى ثروتى فنون ص ٥٦ . والصواب سالنامه ثروت فنون — وطبقاتى أكبرى ص ٥٧ وفارس نامى ص ٦٠ وواقعاتى درانى ص٢٤ وتاريخى أحمد ص٢٤ وحياتى أفغانى ودرى درانى ص ٢٤ والصواب فى هذا كله طبقات أكبرى ، وفارس نامه ، وواقعات ، وتاريخ ، وحيات ودر بغير ياء فى الكلمات الأربع — وأفظع من هذا كله درى سعادت اسم استانبول . والصواب در سعادت

٣ — ومثل هذا الغلط فى نقل العبارات التركية :

فقد ترجموا « آبازه كوشكى » فكتبوا كيوشكى آبازه ص١٠ والصواب كوشك آبازه فان الياء الأخيرة ياء الاضافة فى التركية . فاذا نقل التركيب الى العربية فلماذا تبقى الياء ؟ ثم الياء بعد الكاف فى كيوشكى غلط آخر . — وطوب عربجلرى ص ٥١ والصواب طوب عربجيارى بالياء الثقيلة وزيادة ياء بعد الجيم . والناس فى مصر يقولون عربجى لاعربج . وأصوب من هذا طوب آرابه جيلرى — وايج شاهينجلر ص ٤٥ والصواب شاهينجيلر بزيادة ياء بعد الجيم .

٤ — ومن الغلط فى رسم الكلمات الفارسية والتركية والكلمات العربية المستعملة فى هاتين اللغتين :

سياسة نامه . والصواب سياستنامه أو سياست نامه — وجينليكيوشك ص٣١ والصواب جينلى كوشك . وان أريد الترجمة فالكوشك الصينى — وسياحات ص ٣١ والصواب سياحت — وأوليه . والصواب أوليا — وخاطيرات . ص ٥٦ والصواب خاطرات جمع خاطرة — وخندمير ومير خند ص٦٠ والصواب خوندمير ومير خوند . — وكجوك وبيك ص ٥٠ والصواب كوجك وبيوك — وحياة خان

ص ٢٤ والصواب حيات — وآتش كده ص ٦٠ والصواب آتشكده — وقترجى أوغلو ص ١٠ . والصواب قاطرجى — ويرمى سكز جلبى محمد ص ٥٨ والصواب يكرمى سكز كما تكتب فى التركية .

٥ — ومن الغلط فى تعريب الكلمات :

أرسلان بج . ولطف على بج ص ٦٠ وأتا بج فارس ص ٥٩ وسليم جراى ص ١١ . والصواب فى هذا كله بك وأتا بك وكراى بالكاف الفارسية أو بك وأتا بك وكراى بالكاف العربية أن أريد التعريب ، فقد عربت من قبل وكتبت بالكاف العربية لا بالجيم

٦ — ومن الغلط فى الترجمة : نهر جرجان رود ص ٦٣ . والصواب نهر جرجان فان كلمة رود بالفارسية معناها النهر — وترجمتهم هذه الجملة: Les vllées des Eaux douces d'Eurorpe بهذه العبارة « ينابيع المياه العدبة » وهى لا تفى بالأصل ، ومن الغلط فى ترجمة الاصطلاحات العروضية ترجمتهم pied بمقطع والصواب جزء . ولو رجعوا إلى تعريف الابتداء عند العروضيين لأصابوا التعريف الاصطلاحى الصحيح .

٧ — ومن الأغلاط الظريفة أن الكتاب الأوربيين ترجموا بعض الكلمات العربية ثم حرصوا على الكلمة المترجمة فوضعوها بين قوسين ليستعين عارف العربية بها على تحديد المعنى . فجاء المترجمون إلى العربية فترجموا العبارة الانكليزية أو الفرنسية بعبارة عربية وأبقوا الكلمة العربية بين قوسين . وظاهر أنه لا حاجة إلى حبس هذه الكلمة بين قوسين بعد أن ردت الى لغتها . ومعنى هذا أن الكلمة العربية ترجمت إلى الانجليزية فلما أريد ردها إلى لغتها وضعت كلمة أخرى مكانها لا تؤدى معناها . وبقيت هى زائدة بين القوسين .

ومن ذلك قولهم : وألف كذلك مصنفاً عن حكمة (حلم) الهندوس ص ١٦ يستنزلون المطر (استسقاء) ص ٢٣ — ادارة أوقاف (متولى) ص ٥٧ .

٨ — ومن الأغلاط المطبعية : لم يتقدم إكثر جوتز ص ٤٦ وأظن هنا حرف « من » محذوفا بعد إكثر . ابراهيم باشا داماد وزير السلطان أحمد الثالث ص ٤٨ والصواب حذف « داماد » — وثير بالثاء فى حاشية الأستاذ محمد مسعود ص ١٦ والصواب تير بالتاء المثناة . — ودراويش جانفزا (جوف) ص ٤٦ . ولست أدرى من أين جاءت كلمة « جوف » والقوسان المحيطان بها .

٩ — ومما يؤخذ على العبارات العربية ، وأكتفى بسردها هنا اجرى لنفسه عملية الختان ص ٢٧ : — وكان ترتيبه السابع عشر بين سلاطين آل عثمان ص ٢٩ — يسمى أبو بكر ص ٣٥ — وكانت حياة هذا الرجل اقرب الى الأفقية والمجازفة ص ٣٩ — ثم أعدمه هناك ص ١٠ ثار بدوره ص ١٠ ، دخل مذهب الخوارج الى المغرب فى صورة الاباضية ص ١٣ « يضطر المسلمون الى اقامة خليفة » ص ١٤ فى مكان « يجب على المسلمين الخ » — قراءة خاطئة بدل مخطئة — وفى حاشية الاستاذ مسعود : « الايام المسترقة (بكسر الراء) ص ١٦ والصواب فتح الراء . ولو ترك الامر للقارىء ولم ينص على الكسر بين القوسين لكان احزم .

— ثمانى مائة كنيسة ومائة بيعة (بما فيها المعابد الصغيرة) ص ٢١ وما بين القوسين لا تسيغه اللغة

١٠ — ومما يؤخد على رسم الكتاب كتابة أسماء المراجع بحروف كبيرة وتركهم شكل الاعلام والكلمات التى تحتاج الى الشكل ، وتركهم الرموز فى الأشارة الى المقالات فيقولون مثلا : « انظر مقال عمان » ولو كتبوا (انظر: عمان) أو (ظ . عمان) لكان أوجز ألخ

هذا ما ألفيته أثناء القراءة واستحسنت أن الفت المترجمين الكرام أن يتجنبوه فى الكراسات الآتية .

وينبغى أن يعلموا أن هذه الاغلاط وأمثالها لا تنقص من عملهم ، ولا تغض من أقدارهم . ولعل فى التنبيه الى هذه المآخذ ما يدعو الى طمأنينة القارىء حين يعلم أن هذه الدائرة العربية لا تقر على أغلاطها ، وان وراءها من ينقدها ، ويشفق على قرائها ، ويرجو لها كل سلامة .

وبعد فانى أختم بتكرار الثناء والشكر ، ودعوة قراء العربية الى التأييد والمعاونة ما استطاعوا .

والله يهدينا الى التى هى أقوم . ويسددنا الى كل عمل صالح

عبد الوهاب عزام

دائرة المعارف الاسلامية

نقد وتقدير

للأســـتاذ اسماعيل مظهر

(تتمـــة)

(١٠) ولكنه كان برغم عقيدته المسيحية محوطا (كذا) بالاتراك. (ص ٢٢ نهر ا) والاصل الانجليزى كما يلى .

... in spite of his christian faith, had surrounded himself with Turks .

والفرق بين الاصل والترجمة شاسع بعيد ، لأنك عند ماتقول بأن فلانا كان محاطا باللصوص شيء يختلف كل الاختلاف عن قولك أن فلانا اتخذ لنفسه بطانة من اللصوص . والذى يرمى اليه الأصل هو أن فلانا هذا « على الرغم من عقيدته النصرانية اتخذ له بطانة من الأتراك » لأن مجرد أن يكون محاطا بالاتراك لايؤدى المعنى المدرك من الجملة الاصلية ، ويدل فى جملة مايدل عليه أنه كان محاطا بهم ولو لم يكن له رغبة فى أن يكونوا من بطانته أو حاشيته ؛ وأنه كان محاطاً بهم عنفا وأثرا على الرغم من ارادته . وقد جاء فى القرآن : « إلا أن يحاط بكم » . وليس شيء فى هذا بمحمول فى الأصـل . ومثل هذا التفريط لا يصح أن يقع فيه شباب مثقفون تصدروا الى اخراج عمل أدبى عظيم كدائرة معارف الاسلام

* * *

(١١) وهنا ننتقل الى مادة أخرى هى مادة « أباضيون » - Abadites - وقد جاء فى هذه المادة (ص ١٣ نهر ا) ما يأتى : « وانتشر بسرعة بين البربر حتى أصبح المذهب القومى لهم ، اتخذوه ذريعة لنضالهم مع أهل السنة من العرب » . والنص الانجليزى كما يلى : -

it developed rapidly among the Berbers and became the national doctrine, which served as a pretext for the struggle between the African and the orthodox Arabs .

وهنا نلاحظ أولا أن كلمة - developed - الانجليزية لا تأتى مطلقا بمعنى انتشر . لأن انتشر تؤديها كلمة diffused. ولكن الاولى تؤدى دائمـا معنى التوسع فى الشيء أو نشوؤه وتطوره . وثانيا أن المترجم قال : « اتخذوه ذريعة لنضالهم مع أهل السنة من العرب » فجاءت الجملة غامضة لانه لم يفصح عمن اتخذوه ذريعـة فى حين أنها بينة فى الاصل ، والسبب فى هذا راجع الى أنه أهمل كلمة - African - ولو عنى قليـلا بالترجمة لقال « اتخـذه العرب الافريقيون ذريعة للنضال مع أهل السنة ، واذن تستقيم الجملة وتنطبق على الاصل ويزول عنها الغموض

(١٢) وجاء فى هذه الصحيفة مايأتى : « ولعب أباضيو طرابلس وأفريقية . . . . الدور المهم فى ثورة القرن الثانى الهجرى التى كادت تجرد الخلافة من افريقية » . والاصل الانجليزى كما يلى :

The Abdites .... played the principal part in the Berber rising of the second century which nearly deprived the Caliphate of Africa.

وبالمقارنة بين الاصل والترجمة تجد وضوحاً فى الاولى وغموضا فى الثانية . السبب فى هذا أن المترجم أهمل كلمة Berber وهى حجر الزاوية فى الجملة فقال : « ثورة القرن الثانى الهجرى » وكان يجب أن يقول : « ثورة البربر فى القرن الثانى من الهجرة لانك اذا اهملت كلمة البربر لم تعرف من الذى ثار ، ومثل هذا التفريط مفسدة للتاريخ وتعقيد على المطالع لا سبب له الا التعجل فى ابراز الآثار الأدبية . ثم أن كلمة - rising - الانجليزية لا تؤدى معنى الثورة فعلا - بل تؤدى معنى فتنة ، لان الثورة لابد من أن يعقبها انقلاب حقيقى فى نظم الحكم أو فى قوام الدولة كالثورة الفرنسية وكالفتنة المصرية . والفتنة لاتؤدى المعنى المقصود فى الثورة الفرنسية أو انقلاب روسيا الحديث . والانجليز شديدو الحرص على مراعاة مثل هذه الفروق . لان التخليط فيها تخليط فى التصور الذى ينتج عنها

(١٣) « تفرق شمل الاباضيين فى صحراء تونس والجزائر » الخ (ص ١٣ نهر ٢) والاصل الانجليزى كما يلى :

The Abdites lived sporadically in the Algerian and Tunisian Sahara, as well as at Djebra

وأنت تقول تفرق شمل الجيش أو الجماعة ولكنه يجوز أن يجتمع شملهم مرة أخرى ، ولكن الاصل الانجليزى يريد أن يقول على الضد مما اراد المترجم أن الاباضيين عاشوا مشردين (آفاقيين) فى جماعات عيش مصادفة واتفاق . وشتان ما بين المعنيين لان كلمة Sporadic قد أثبتت فى المعاجم الكبرى ، وكما تدل حقيقة ، وأمامها « اتفاقا ، واقع متفرقا » (راجع بدجر ص ١٠٠٩) وفى هـذا تفريط لا يستهان به

(١٤) وجاء فى نفس الصفحة والنهر : « ولهم أدب دينى تاريخى هام ; وجماعاتهم دائمة الاتصال بعضها ببعض تحرص حرصا شديدا على حماسها المتأجج » . والعبارة هنا عبارة فرنسية فى كلمات عربية ، ولا تمت للاسلوب العربى بأى سبب ، ولكن على الرغم من هذا ترجع الى الأصل الانجليزى فتجده كما يلى :

They have an important historical and religious literature and communities in constant communication with each other, carefully keep up their fervor.

والفرق شاسع بين الاصل والفرع ، فقد قال المترجم : « ولهم أدب دينى تاريخى هام » والواقع أن الأصل لا يحتمل هذا المعنى

مطلقا ، فان المؤلف يريد أن يقول برغم المترجم : « ولهم مؤلفات دينية تاريخية ذات وزن » والسبب فى خطأ المترجم أنه ترجم كلمة literature - « بادب » ولكنها فى هذا الموضع تدل على المؤلفات والآثار الأدبية كما يقول Scientific literature فلا يصح أن نترجمها « الادب العلمى » بل نقول المؤلفات العلمية ، وقول المترجم « أدب دينى تاريخى » يدل على أن هذا الأدب قاصر على الكلام فى الدين من طريق اتصاله بتاريخ نشوء دينهم . والاصل يريد أن يقول « مؤلفات دينية وتاريخية » والفرق ظاهر جلى . ولأن and - فى الانجليزية حرف عطف ياسيدى المترجم ، وعلى الرغم من أن المترجم فصّل من الجملة الواحدة ثلاث جمل مفككة مما نغضى عنه تجاوزا ، فانه قال فى عرض الكلام عن جماعات الاباضية انها : « تحرص حرصاً شديداً على حماسها المتأجج » وعلى الرغم أيضا من أن معنى الحرص » لا أصل له فى الجملة الانجليزية ، بل أن - keep up - تفيد معنى الاحتفاظ بالشيء فى مستوى بعينه ، فانه أردف الحماس بالمتأجج وصفا له . والمتأجج لا أصل لها فى الأصل الانجليزى . فخرج بذلك عن وظيفة المترجم الأمين الى وظيفة محرر جريدة يحاول أن ينمق كلامه بالخطابيات . ولو انه أراد ان يترجم كلمة - fervor - ترجمة حسنة فيها احتفاظ بالاصل ، وفهما ما يريد من تأجج الحماسة لقال « حميتهم » لان الحمية فيها الحماسة وفيها تأجج الحماسة معاً

(١٥) « ولقد انقسم الاباضيون الافريقيون ثلاثة أقسام سياسية ودينية على السواء » (ص ١٣ نهر ٢) والاصل كما يلى :

But three schisms, both political and religious namely . . . . occured amongst the African Abdites.

وكان الواجب أن يلاحظ المترجم أن كلمة - Schism - لا تترجم بقسم لان قسم هو - division - ولذا يجب أن تترجم بفرقة أو شيعة . وقال المترجم « أقسام سياسية دينية » . وهذا بعيد عن الاصل لان التعبير الاصلى يريد أن يقول « ثلاث فرق أو (شيع) لكل منها لون سياسى وآخر دينى » والله أعلم .

(١٦) « ومن الطبيعى أن يعارض الاباضيون بشدة فى اتهام أهل السنة لهم بالكفر (ص ١٣ نهر ٢) والاصل كما يلى.

Naturally the Abdites object energetically to the name of heretics which the orthodox sects give them,

ونحن نترك للمترجم الفاضل قوله « يعارض الاباضيون بشدة » لتقابل - object energetically برغم أنها خطأ . ولكننا لا نستطيع أن نترك ترجمة كلمة heretics بالكفر ، لأن كلمة herecy معناها الهرطقة . وبين الكفر والهرطقة فارق ما كان ليجل عن فهم المترجم لو أنه أراد وصبر على مكاره البحث . ذلك لأن الهرطقة درجة من درجات الكفر . والكفر خروج من دين الى دين آخر ، ومن درجاته الهرطقة والزندقة والردة وغيرها فقد يكون الانسان هرطوقا أو زنديقا ، ولكنه يبقى مسلما يحتاج فقط الى تصحيح دينه ، كما يحتاج المترجم الفاضل الى اصلاح ترجمته ، ويبقى مع ذلك مترجما . ولكن الكفر خروج من الدين . وكلمة هرطوق وجمعها هراطقة ، أو أرطوق وأراطقة ، من المعربات التى دخلت اللغة العربية وأصبحت صحيحة (راجع محيط المحيط) . ولئن غضب الاباضيون على أهل السنة فى رميهم إياهم بالهرطقة لاغير ؛ فكم يكون غضبهم على المترجم الفاضل وهو يرميهم بالكفر ؟ نرجو الله ألا يسمع الاباضيون خبر ذلك .

(١٧) وجاء فى « ص ١٤ نهر ٢ » ما يأتى : « وهذا النقاء سواء أكان عن اخلاص أو تظاهر يجعل منهم كتلة متجانسة متآلفة متمايزة تمام التمايز بسلوكها وأخلاقها وميولها بين أهل السنة من العرب والبربر » فى شمال افريقية والأصل كما يلى :

This puritanism,be it sincere or pharsaicol, has formed them into a homogenous and compact group, which is very clearly distinguished by its behavior character and tendencies amidst the orthodox or Berbers of Northern Africa

وأريد الآن أن أختم هذا النقد حذر أن أطنب وان كانت ترجمة دائرة معارف الاسلام جديرة بأكثر من هذه العناية .

قال المترجم أن Puritanism هى النقاء ، ولا أعلم كيف جاز له أن يستعمل هذا الاصطلاح المبهم . وحقيقتها (صوفية أو تصوف) . (أنظر بدجر ص ٨٢٠) ولكنها ليست الصوفية أو التصوف كما عرفه العرب ؛ لأن صوفية العرب جاءتهم من ناحية الهند تغليبا أو من ناحية الاسكندرية ترجيحا ، بل هى الصوفية كما عرفت عند شيعة كنسية نصرانية ، لأن الكلمة هنا قد وضعت لتدل على وجه من الشبه بين الفئة التى يتكلم فيها المؤلف وبين فئة ظهرت فى ثنايا الكنيسة النصرانية — ونقاء ترجمة حرفيـــة لكلمة pure ومنها purity ولكن الخطأ فى أن تستعمل بنصها الاصيل لتدل على مذهب ، والا لجاز لنا أن نترجم مثلا اصطلاح Obscurantism بالغموضية أو الابهامية فى حين أنها وضعت لتدل على مذهب الجمود الفلسفى ووضع المترجم الفاضل كلمة « تظاهر » لتقابل فى الاصل كلمة - pharsaical وحقيقتها مراءاة أو نفاق . (انظر بدجر ص ٧٥٠)

وقال المترجم « متمايزة بسلوكها وأخلاقها وميولها بين أهل السنة من العرب والبربر فى شمال افريقية » والحق أن المؤلف يريد أن يقول « مميزة بسلوكها وأخلاقها وميولها عن أهل السنة أو بربر شمال افريقية » فان استعماله « بين » يدل على خطأ فى الجملة يفسد مرماها وقوله « العرب والبربر » خطأ أفظع من الأول لان or تترجم (أو) فى الانجليزية وقد استعمل بدلها حرف عطف هو (الواو) تقابلها فى الانجليزية and فاقسد بذلك المعنى .

على أنى لا يسعنى الا أن أهنىء لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية من كل قلبى على عملها المجيد راجيا أن تسير فيه موفقة مسددة الخطو باذن الله .

طبعت بمطبعة فاروق « محمد عبد الرحمن محمد » ٢٨ شارع المدابغ بمصر